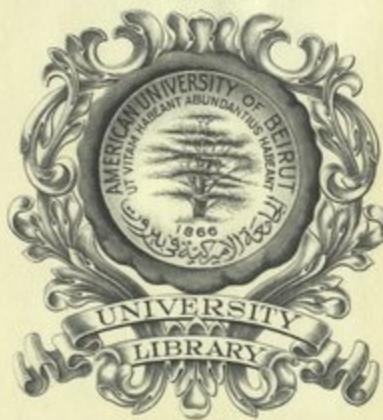
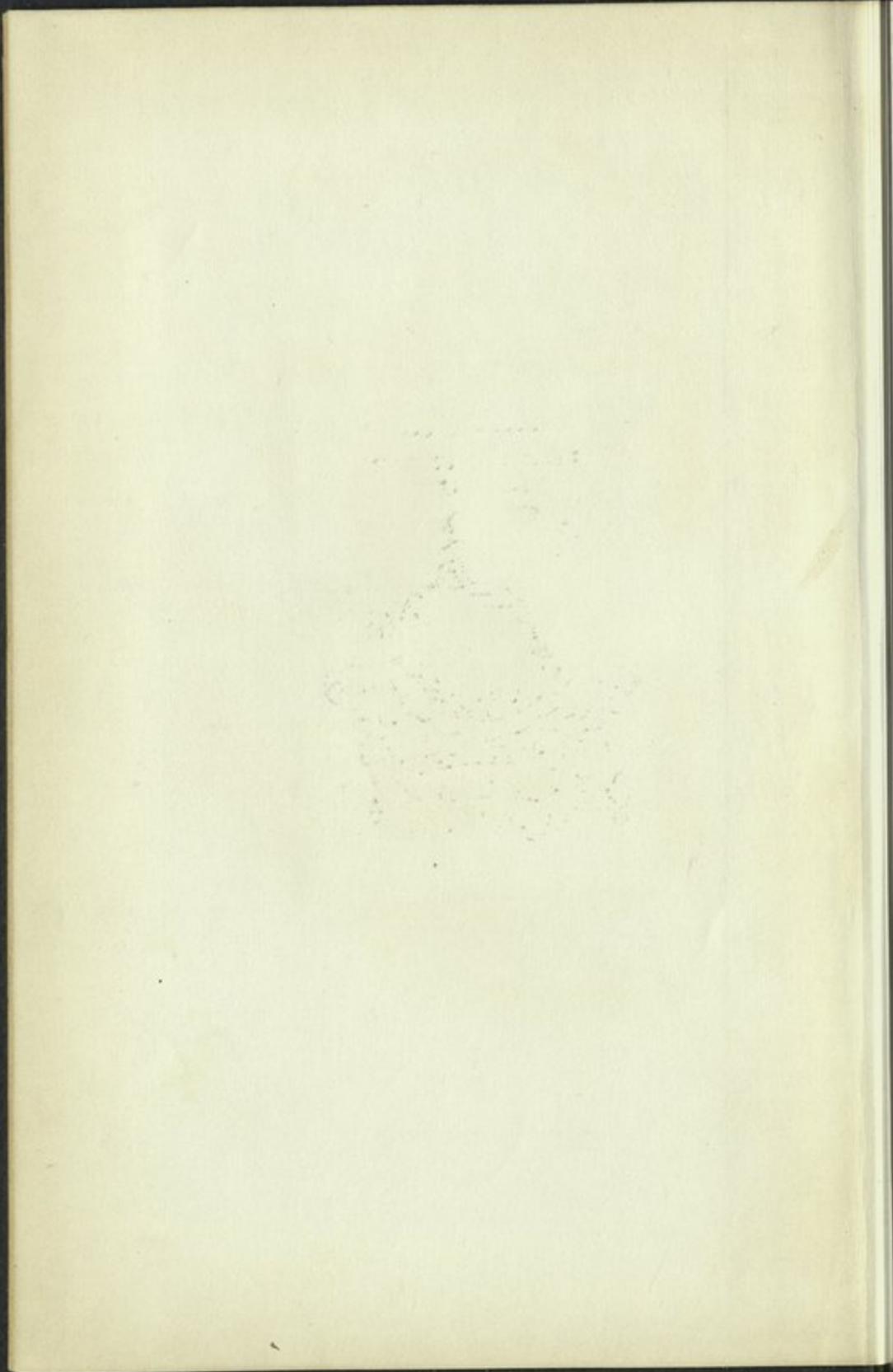
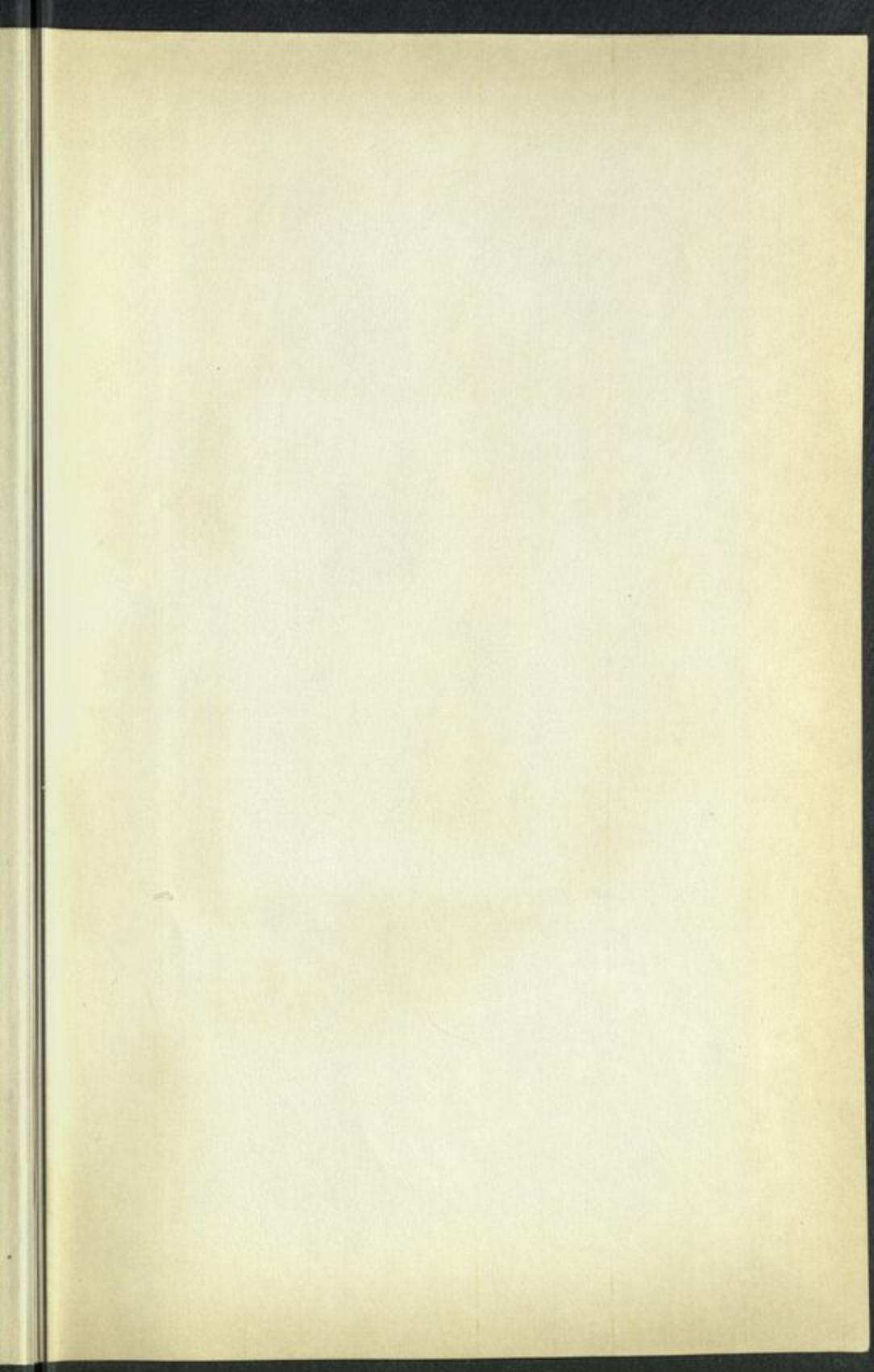
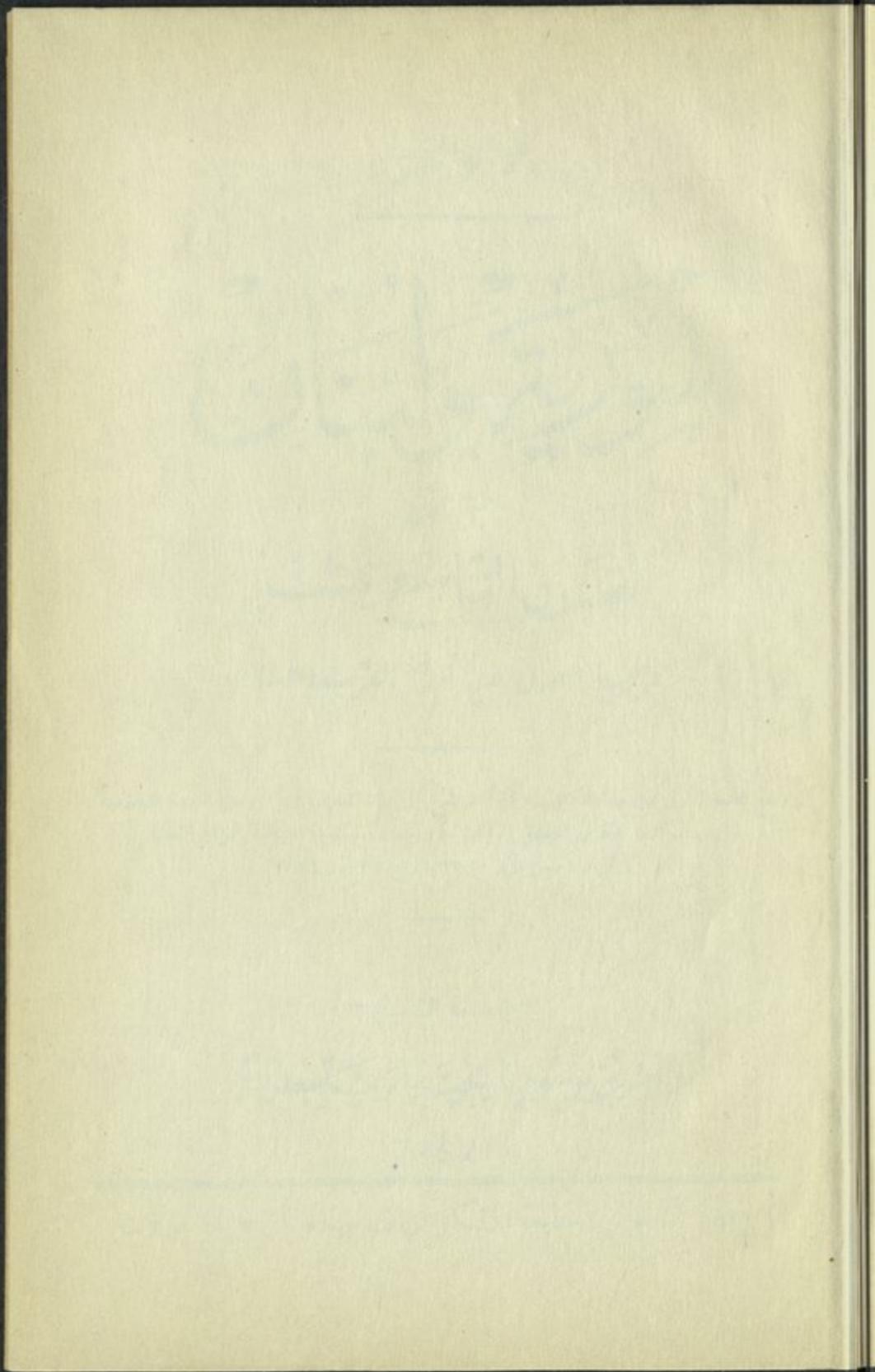


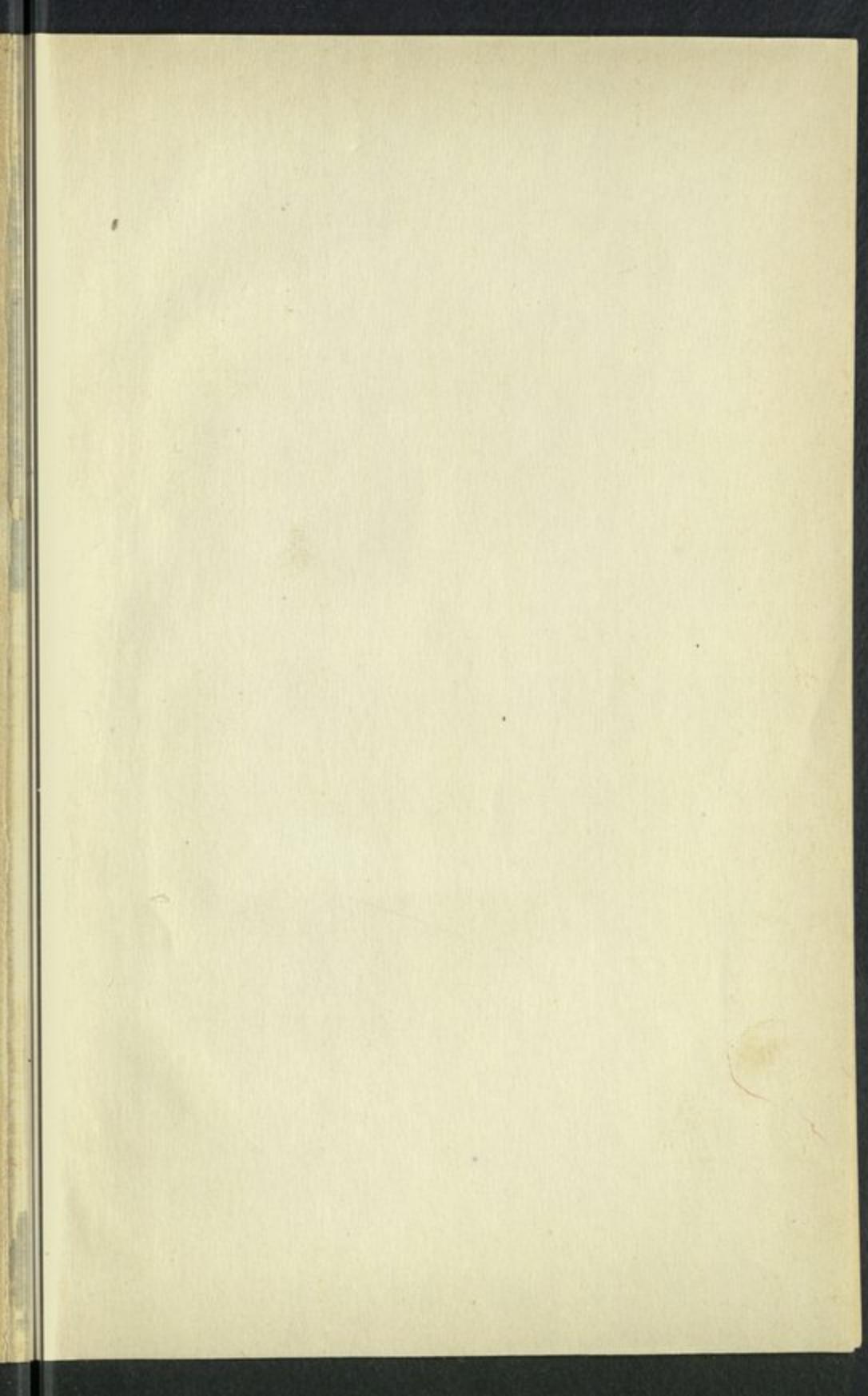
AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT











956.9  
A1628A  
C.1

هر أبوالنصر

# سُولَيْرَ وَلِبَانٌ

كتاب

الفَرْنَقُ التَّاسِعُ عَشَرُ

وَبِلِهَا فَصُولُ عن تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ

وضع الفم الاول من هذا الكتاب وفاقاً ل برنامجه وعرض على اللجنة المختصة  
لدرس الكتب لمدارس الجمهورية اللبنانية وايدت الحكومة اللبنانية قرار اللجنة  
بتقاد رسمي غرفة ٣٨١١ بتاريخ ٢٥ ايار ١٩٢٦

- الطبعة الثانية -

مُهَرَّقْ بِرْسُومِ تَارِيْخِيَّةِ اُثْرَيَّةِ جَدِيْدَةِ

77621

١٩٢٧ \* مطبعة وزنکوغراف طباره \* بیروت



### الاهداء

اقدم كتابي الاول في حالم التأليف  
إلى «والدي» «الكريمين اللذين رباني صغيراً»  
وسهر على يافعه وفتي هدية من صغير إلى  
كبار، واعترافاً مني بفضل عظيم طوقاني به  
وما يحيط به طوقاني به حتى اليوم.

عمر ابو النصر

## مقدمة الطبعة الأولى

ارادت وزارة المعارف ان تكون صلة بياني وبين المتأدبين من شباب هذا البلد بأن تنشر بينهم هذه الدروس التاريخية ، وان تحملهم على درسها وتفهمها ، فلن الحق ان ابدأ حكتاي الاول بتقديم اجل الشكر لـهـاجة الاستاذ الجليل محمد الحسن ناظر المعارف السابق ورئيس مجلس الشيخ الحايلي لما تفضل به من ايجاد هذه الصلة ، ولما وافق اليه في اخراج هذا الدرس المتم الجديد من تاريخ هذا القطر الطيب

تقدمنا الى الاستاذ الجليل بوضع هذا الكتاب وفي نفستنا ما في نفسه من جلال العمل فبعد الفكرة ، فامضينا اسره وصرفا شهرآ في تأليف هذه السلسلة ، ونخن حريصون جد الحرص على ان يجد فيها العامل والتاجر والاديب والطالب غذائهم ، يقتصرون علىها دون المظلولات ويقرأون هذا الكتاب عربياً صرفاً خالصاً في انشائه وتراثيه من شوائب المعجمة والتعقيد فهو في سهولة عبارته وطريف اسلوبه وقرب تناوله ، عمل صغير ، لفتیان في روعة الشباب

ولقد اجاهد نفسي جهاداً شديداً لأتمكنها من تبيان ما لهذا العمل من خطر ، وما له من فضل ونفع ، ذلك ان هذه السلسلة نفسها ستظاهر للناس هذا النفع وهذا الخطر ، وحسبنا بياناً انتا ستدرس في هذه الصفحات قارب العنصر العربي السوري وما اعترضه من ضروب التطور والوان الاستعجاله والرقى منذ اول هذه بالحضارة حتى انتهى الى حالة الحاضر

هذا الكتاب اول السلسلة وهو عمل بذلت فيه غاية ما استطعناه من الجهد سواه قل فيه فضلنا او كثیر . فلقد اخذنا البحث باطراف موضوعه وتكلمتنا فيه في كل موضع على وجه الانسب فتصرفاً في مختلف الاراء ومتفرق المباحث تصرفاً ارشدنا اليه المقل تحكمه في استغراج الحقيقة الشاردة لترجمها الى اصلها عاملين على الباسها ليساً اقل ما نقدر ان نقول فيه انه هرفي مبین . وليس هذا العمل بالضليل او بالامر القليل ذلك انه اذا حالت الحوايل بين الكاتب والعمل فنعته من ان يعملاً اصلاً وان يقول قوله جديداً فلا اقل من الكلام الحسن مجربي به يراعي على قرطاسه بلغة فصحى وبيانه جلي .

ليس التاريخ قصة قديمة ، وخبرأً سالفاً فحسب ، بل علة رائعة ، وصورة حقة لما  
كانت عليه الحياة مهد الآباء ، والاجداد ، في العلم والسياسة والصناعة والزراعة والادب  
والاجئات .

ولقد ذهب المؤرخون مذاهب في تعریفه لا اردد ما قالوه ، ولا انقد ما ذهبوا اليه ،  
فقد اعود لهذا في كتاب قادم ، واغدا اتقدم برأيي وهو اختبار نفسي ، فان لم يكن  
الحقيقة كلها او جانباً منها فهو بعضها ، التاريخ وصية السلف الى الخلف ، ان احسنتوا  
فدعوه لاقناع الاخر حتى الكمال ، وان اساءوا فمضلة ودموعة الى الاصلاح ، والعمل  
النافع .

حب الشباب هذا اليوم ، لكل حادث حديث ، وحديث الكتاب القائم ازهى  
لوفاً واغزراً مادة ، واسع بحثاً وابعد غوراً واوضح مذهباً وبياناً .

بمقدمة من .....  
عمر ابو النصر

١٩٢٦ تقویز سنہ ۱۵

## الضجة حول كتاب سوريا ولبنان

تحدث الى صديق من اخواني على اثر الضجة التي قامت حول كتابي فقال  
« لك اسوة بالاستاذ الدكتور طه حسين بصر فلقد عرضت بعض الصحف بكتابه  
وتاول بعض الكتاب مؤلفه فادعوا انه منسخ . وقالوا انه قد اخطأ وضل .  
وليس في هذه الضجة ما يضر طه حسين ولا كتابه . فسيخرج طه حسين منها اكثر  
شهرة واعز مكاناً »

قلت « انهم يأخذون على الاستاذ طه حسين تحاملا على بعض المعتقدات الدينية  
وانكاره بعض النصوص القرآنية وليس في كتابنا شيء من هذا » اللهم الا ان  
يكون ما ذهبت اليه من ولادة المسيح في ضواحي الناصرة وما اعتدناه في ترجمة  
(جان دارك) من انها رأت في ماري النائم ملائكة يأمراها بالبقاء فرانسا فكان من ذلك  
الضجة التي اثارها اليسوعيون وتابعيهم فيها بعضهم وحاجتنا في هذين الحادفين كتب  
تاريخية افرنجية وانكليلية تعد من اعظم مصادر التاريخ في العصر الحاضر فئة وشهرة  
ولقد اكون من اسعد الناس بمناقشة الخصم الشريف يتحدث الي بالنقاش الشريف .  
ومن اشدتهم نكيراً على النذر يحرف الكلم عن مواضعه ويبيّن الشبهات في تحريف  
النصوص التاريخية

اجل كنت اكون من اسعد الناس لو عرفت ان نقادي لهم المام بوضع الكتاب .  
اذا لا يريدم ان الكتاب لا يحتوي على ما يعدونه على خطأ وما يتمالونه من نقد  
انتقد الكتاب اربعة نفر هم الاب لويس شيفو . والاديب بطرس البستاني . ويسوعي  
مجهول الهوية والمقام فروخ . وانتقد الكتاب الثلاثة الاول لافراض في النفس  
فقد يشق على اليسوعيين ان يقوم احد المسلمين بعمل فاجع ويسوهـم خصوصاً ان  
يقوم هذا المسلم بوضع الكتب المدرسية . يزاحم بها كتبهم وهي عندهم التجارة الرابحة  
ويشق على الاديب البستاني ان يكون لنا في النظم والنشير غير مذهبـه ، واما دابعهم فلا

ندرى ما حمله على نقد الكتاب خصوصاً وانه حرف وبدل وحور وخطأً في الترجمة .  
ولعل اعجب ما في هذا الحادث من عجب وسخف امتداد يد القدر الى مثل هذا  
الفرخ ترفعه من حيث كان لا يعرف أشراق الشمس في السماء ام في الارض . ويعبّر  
البحر بالطول ام بالعرض الى الكتابة في الصحف والتحرش بالكتب

هذه ضيعة لا زيد ان نعيدها جزءاً ، وانما نزغب في هذا المقام ان نتحدث الى الاب  
شيخو بأنه قد اخطأ في نقاده وضل في مقاله . وان ما سمع اليه من تشويه الكتابة والنكارة  
بـ «نفعه» امر يقصّر عن دركه فليس يجهل الناس ان الاب شيخو اوسع الكتاب ذمة  
وارجحهم صدراً لكل رأي سخيف . في التاريـخ والادب وهم يشكّون في نقاده  
ويتأولون اخلاصـه وقد ضربوا المثل بكتابـه شعراً النضرانية في الجاهليـة بانها مجموعة  
خدع واضـاليل ونحن نبشرـه ان الاجيـال القادـمة ستقرـأ مؤلفـاته كما تقرـأـها اليـوم الحاضـرة  
لتـفكـة والتـسلـية كـامـالـها من قـصـصـ الزـير وـعنـزـ وـابـ زـيدـ الـهـلـالـيـ

نقولـ هذا ، وـنـتـظرـ فيـ نـقـدـ الـابـ شـيـخـوـ لـكتـابـناـ فيـ مجلـةـ المـشـرقـ فـنـتـ قولـ

١ - عـجبـ الـابـ شـيـخـوـ كـيفـ يـكونـ الـاـنسـانـ الـاـولـ اـبـكـمـ لـاـ يـفـرقـ بـيـنـ الـجـمـادـ  
وـالـحـيـ وـيـعـتـقـدـ بـالـحـيـةـ وـالـمـوتـ . وـلـيـسـ فيـ هـذـاـ عـجـبـ فـقـدـ كـانـ الـاـنسـانـ يـدـفـنـ اـمـوـاتـهـ  
وـمـعـهـ الـاـنـيـةـ وـالـطـعـامـ ، وـهـوـ لـاـ يـكـادـ يـعـرـفـ النـطـقـ فـذـهـبـ الـمـوـرـخـونـ لـىـ اـنـهـ يـعـتـقـدـ  
بـالـحـيـةـ بـعـدـ الـمـوتـ ، وـكـانـ الـاـنسـانـ الـاـولـ يـعـتـقـدـ اـنـ فـيـ الـحـجـرـ الـذـيـ يـقـعـ مـنـ الـجـبـلـ الـىـ  
الـاـرـضـ رـوـحـاـ شـرـبـةـ فـيـرـبـ مـنـهـ ، وـكـانـ يـظـنـ اـنـ فـيـ تـلـاطـمـ اـمـوـاجـ الـبـحـرـ رـوـحـاـ تـعـملـ  
لـاـهـلاـكـ فـيـذـهـبـ بـعـيـداـ عـنـهـ .

٢ - قـلـناـ تـحـتـ صـورـةـ الـفـارـسـ الـصـلـيـيـ عنـ اـمـبرـاطـورـ الـاـلـانـ الـذـيـ حـرـمـ الـبـابـاـ  
غـريـغـورـيوـسـ السـابـعـ اـنـهـ اـضـطـرـرـ لـىـ الـوقـوفـ بـبـابـ الـبـابـاـ فـيـ روـمـيـةـ ثـلـاثـةـ اـيـامـ بـلـالـيـاـ طـابـاـ  
الـصـفـحـ وـالـمـفـقـرـ ، فـقـالـ الـابـ شـيـخـوـ اـنـ هـذـاـ كـذـبـ ، وـنـحـنـ لـازـىـ فـيـ هـذـاـ التـكـنـيـبـ غـيرـ  
مـاـ رـأـهـ فـيـ كـتـبـنـاهـ وـلـيـأـتـاـ بـوـرـخـ وـاحـدـ اـنـكـرـ هـذـهـ حـادـثـةـ الـتـيـ هـيـ اـشـهـرـ مـنـ نـارـمـلـىـ  
عـلـمـ فـيـ كـتـبـ التـارـيخـ

٣ - وـرـأـيـ الـابـ شـيـخـوـ مـنـاقـضـةـ فـيـ هـذـهـ الـجـمـلةـ وـنـحـنـ لـازـىـ فـيـهـاـ شـيـئـاـ مـنـ هـذـاـ  
وـهـذـهـ هـيـ «ـاـمـاـ سـكـانـ سـوـرـيـاـ فـاسـمـيـوـنـ قـطـعاـ نـزـلـهـ السـامـيـوـنـ مـنـ جـزـيـةـ الـعـربـ مـنـذـ اوـلـ  
هـدـهـاـ بـالـحـضـارـةـ ، وـكـانـ الـبـابـلـيـوـنـ يـحـكـمـوـنـاـ قـبـلـ نـزـولـ السـامـيـوـنـ فـيـهـاـ اـيـ قـبـلـ هـذـاـ

المهد - فابن وجہ التناقض فی کلامنا هذا ؟

٤ - قلنا ان الحثین وهم قبائل متوجهة نزلوا سوريا فی القرن الرابع عشر قبل المیسح ، فانکر الاب شیخو ان یکونوا قبائل متوجهة ، ونحن لم نقصد بهذا الا التأکید بما عرف عنهم من مضاء الغزیة والرجلیة وحب الكفر والفساد والخیام ، وهم لما نزلوا علی المستعمرات المصرية ، كانوا متوجهین بالنسبة الى المصريین ، وما اکتشفه العلماء من تقدیمهم قلیل نذر ولا یرجع تاريخ الاثار المکتشفة الى ما قبل القرن الثالث عشر ، وكلها تدل علی عدن علی جاف ، هذا الى ان لفتهم لم تفتح طلامیمها للمؤرخین حتى الیوم .

F. Hrozny , cod Hitite , paris 1922

E. Pottier , l'art Hitites dan la revue (syria ) 1920

٥ - عجب الاب شیخو کیف جعلنا الرئاسة للقینقین علی البحر منذ اربعة الاف سنة ثم قلنا ان السومريين نزلوا علی خلیج العجم من الدجلة والفرات « زوارق مخازية » ولا ندری وجه الانتقاد في هذا الرأی فلقد ذهب العلماء انه كان للسومريين زوارق قبل القینقین ، ولكن القینقین بزورهم في صناعة الالخار .

٦ قال الاب شیخو اننا في فصلنا السابع عن سوريا في عهد الرومان « ص ٣٠ - ٣٣ » حصرنا هذا المهد بين سنتي ( ٦٠ - ٩٥ م ) وكل يعلم ان سوريا بقيت تحت حکم رومیه الى ان خلفها البزنطی فی اوخر القرن الرابع واعتراض الاب صواب ولكنه لو کاف نفسه عناء النظر الى الفصل التالي لرأى اننا بدأنا هذا العبد البزنطی بهذا التاريخ ٣٩٧ - ٦٣٤ ، اذا فرم ٣٣ قد سقط سهوا في المطبعة

٧ - اما انتقاده تاريخ وفاة فسباجیان فصحيح وهو خطأ مطبعي اصلاح في باب الاغلاط المطبعية . وكذلك الخطأ في اسم الرسولین بطرس وبولس .

٨ - يقول الاب شیخو اننا ننقل ما لا نفهمه ولا نعقله . واستشهد بهذه الجملة من فصل عن مدرسة بيروت الحقوقية ( وكانت اللغة الارامية ترداد انتشاراً ومدرسة بيروت الحقوقية تزيد رقباً وشهرة وكانت اللاتینیة لغة التدريس ) وتسائل عن علاقة انتشار اللغة الارامية ومدرسة بيروت الحقوقية ولغة التدريس فيها ؟ ونحن نرى كل العلاقة في هذه الجملة فقد كانت الارامية تنتشر في سوريا وكانت اللاتینیة على الرغم

من كل ذلك لغة التدريس في مدرسة بيروت الخلوقيّة فاين التناقض ؟ اليست الانكليزية اليوم أكثر انتشاراً من اللغة الافرنسيّة واليست الافرنسيّة اللغة الدوليّة الرسميّة ??

٩ - اما قل العاره ، او قل العارنة كما يريد الاب شيخو فهذا اختلاف بسيط وبعض المؤرخين يفضلون الاول لانه احصر

اما ان عهدها يرجع الى القرن الرابع قبل المسيح فلا لأن اكثر المؤرخين اجمعوا على القرن الخامس عشر وقد سقطت كلمة عشر هنا في كتابنا ، ولكن الجملة التي تلي تصلح هذا الخطأ المطبعي اذ تقول . وكانت سوريا في هذا العهد تحت الحكم المصري . والحكم المصري في سوريا كان في القرن الرابع والخامس عشر

١٠ - اما ما قلناه عن الحروف الفينيقية واللغة الفينيقية فهو كده ونقره ولو ان الاب شيخو لا يتذكر هذه الاقوال ولكنه يقول انه فيها لفطا . اما وجود تاءوس في جبيل وعليه حروف فينيقية ترقى الى القرن الثالث عشر قبل المسيح . فهذا ان صبح حدث جديد . ولا يسعنا ان نوّريده في كتابنا حتى يقرء عليه الآثار والمؤرخون

\*\*\*

ولقد حكنا نتمي لو كان بالامكان ان يكون مدرس البيان ومؤلف الكتب المدرسية وناشر المؤلفات التاريخية في كلية اليسوعيين اصدق حديثاً واصح روایة واعف نقداً ، وما يهمنا ان لا يكون كذلك لو لا انه مدرس والمدرس يطبع النشي . بطبعه ، ويتسرب الى النفوس المرنة خلقه واسلوبه ومنهاجه تقول ذلك ، ولا نؤاخذه - لكم هيئكم ولدي دين - ولو انا اخذناه على تضليله وخطئه ، ولو اردنا ان نفتقد اقواله ونترسم موئاته بالتصحيح والتنقیح لما بقى شيء في الوجود اسمه الاب لويس شيخو .

هر ابو النصر

# القسم الاول

سوريا ولبنان قبل الفتح العربي

## الفصل الاول

سوريا ولبنان في بفر التاريخ

بعد التاريخ - الانسان الاول - نشوء الحياة الزراعية  
تطور الفكرة الحكومية - قيام الدول والمالك

### الانسان الاول

ليس الانسان الحاضر، ابن ساعته، هو عمل عصور، فجمهو وشعوب  
توزعت على مقدراته، فكيفته وثقفته وهذبته وشذبته من اطواره  
وافكاره ومظاهر حياته؛ حتى اخرجته الى الناس في القرن العشرين مشففاً  
مهذباً مصقولاً

### بعد الحياة الزراعية

كان هذا الانسان في اول امره وبد، حياته عارياً وحيداً، لا يكاد  
يفهم من مظاهر الحياة شيئاً، ولا يكاد يتذوق من مفاخر الحضارة امراً؛

يعيش لنفسه مم عائلته فقبيلته، وكان يتوصل إلى معالجة شؤون معاشه بالصيد تارة، والاثمار أخرى، وظل على هذا العيش مدة من الزمن حتى عرف الزراعة، وأضطر بحكم هذه المعاادة الجديدة إلى الاستقرار في مكان واحد؛ واحتاج بطبيعة الامر إلى حكومة تحرس له حقله، وتمنع عنه عددان جاره، فإذا بهذا الشارد النافر يستقر مكانه، بعد أن تجول أجيالاً في القبابات والصحراء، ويعمل على تأسيس مزرعة صغيرة هي أول مظاهر من مظاهر الحضارة في تاريخ الإنسان القديم.

#### نماذج البقاء.

استقرت جماعات من بني الإنسان في الأراضي الزراعية في أزمان مختلفة - ليس هنا مكان التثبت من تاريخها جفل ما يهمنا منه أن نلم به الماماً - وظل غيرها جواً لا، فكان من هذا في تاريخ الإنسان ان تقدمت أمم وتأخرت شعوب وإن أخذ القوي المتحضر يستعد الضعيف المتواش، وما التاريخ إلا عبارة عن هذا النزاع العظيم في مختلف مظاهره، قوي يبني التوسيع، ضعيف يقف متخدلاً في سبيل الحياة، والحكم القوي فكان لا بد للضعف من أحد امرئين إما أن يسرع متلماً سبيلاً المتقدمين من الشعوب، أو أن يظل مكانه فتلتهمه جيوش الحضارة القوية والعنصرية المتحدة.

#### نشُوء الحكومات

ولما استقر الإنسان في الأرض تفتحت أمامه سبل كثيرة في الحياة، فأخذ يزرع وأخذ يربى الماشي، وأخذ يحيط الشاب لنفسه وعائلته،

واخذ يبني لنفسه البيوت من غصون الاشجار يزجها بقليل من الماء والتراب ، واخذ يعيش جماعات جماعات مع طوائف من ابناء جنسه يحكم كل طائفة او قبيلة زعيم او شيخ يرجم اليه افرادها في مخاهمتهم ومنازعاتهم ، حتى تجيش المطامع والاحلام في صدر احد هؤلاء الزعماء المشايخ فيتغلب على مشايخ القبائل حوله ، يردهم الى سلطانه ، متوصلا الى ذلك بالقوة والحيلة ؛ فاذا استتب له الامر فانت امام حكومة جديدة ، ودولة حديثة وليس يختلف نشوء الحكومات في مصر وبابل واشور وببلاد فارس عن هذا ، قامت الدولة الاولى في مصر منذ ستة الاف سنة ، وكانت مصر قبل ذلك طوائف تفرق بعضها على بعض حتى قيض لها التاريخ رجالا من ابائهم شديد المراس ، قوي المطامع ، قضى على خصومات زعمائها بالقوة ، وضم مصر فأسست فيها اول دولة متحدة عرفها التاريخ

تاريخ سوريا

وكان سوريما في كل ادوار تاريخها سبيلاً للفتح وطريقاً للغزو ، من دام من دول الشرق القديم فتحاً اضطر مكرهاً ان يهبطها غازياً ، يستذل سكانها ، ويستبعد امراؤها ويفرض عليهم الجزية عنوة واقتداراً وليس ذلك فقط بل انقسمت سوريا بعضها على بعض ، فكان لكل مدينة اميرها ، ولكل شعب تقاليده وحكومته ، فاعجب بعد هذا ان لا يكون لسوريا تاريخ خاص بها ، جامع لحوادثها لفقدان الصلة التي تربط الحوادث بعضها البعض ، ولا ان التاريخ يقوم عادة بالآثار التي تتركها

الشعوب والحكومات، وهذه الآثار مفقودة في سوريا؛ اللهم الا القليل،  
تركها فيها من استولى على هذا القطر من الدول القدية والشعوب المتوسطة

• • •

### اسئلة

- ١ - كيف كان بدء الحياة الزراعية؟
- ٢ - ما تفهم بتنازع البقاء؟
- ٣ - كيف نشأت الحكومات الأولى؟
- ٤ - هل لسوريا تاريخ خاص بها؟

\*\*\*

### الفصل الثاني

#### القطر السوري ولبنان

وصف جغرافي ، زراعي ، سياسي

#### جغرافية سوريا

سوريا بلاد جبلية، تقع في الشمال الغربي من الصحراء العربية،  
وشرق البحر المتوسط وهي تتدلى على شواطئه مسافة تقرب من اربعين  
ميل طولاً وستة عرضاً  
اما حدودها فالبحر المتوسط غرباً، وبادية سوريا شرقاً وجبال

طوروس شمالاً؛ وبادية سينا جنوباً، وهي أشبه بالجسر يمتد بين آسيا الصغرى، وبين ما بين النهرين ومصر، يعبر عنها بلغضاً عام الميلاد، الذي أدى إلى تأثير الأقليم والارض.

ولقد اكبر المؤرخون في هذا العهد ماللإقليم ولطبيعة الارض من تأثير  
في السكان ، فان كانت البلاد جبلية كثيرة المنعرجات كان لا بد  
لسكانها تأميناً لمعاشهم من جهد ومشقة ، وكان لا بد لهم من الانصراف  
إلى لون من الحياة لا يساعدهم على التشقق ولا يحملهم على العلم ؛ فلا  
تعجب بعد هذا ان يكون السوريون عالة على غيرهم في العلوم والمعارف  
ولا تستكير ان لا يحمل لك التاريخ في ثنایاه مدنية سورية راقية مستقلة  
او علمًا سوريًا طريفًا

وكان الارض نفسها تساعد على التجزئة، وتعمل على الانقسام فقد كان يسهل على السوري كثيراً أن يعيش وحده لا يعوز احداً، ولم تكن طبيعة الارض تتطلب عمل الجماعات الكبيرة كما هي الحال في اشور وبابل ومصر، بل كان من السهل على السوريين ان يأتوا بحسن النتائج اذا عملا جماعات صغيرة متفرقة، فكثرت الحكومات، وتعددت الجماعات، وعاش كل مستغلاً مستقلاً

وكان على السوريين ان يظلو متيقظين، حريصين على بلادهم، ذلك انه كان على مقربة منهم دول قوية وقبائل عظيمة، ومع انهم اضطروا في بعض الاحيان لأن يخضعوا لحكم الدول الشرقية القوية، فان دوحةم كان حراً، ونوراتهم كثيرة وعديدة

التجارة السورية

وكان للتجارة شأن عظيم في تاريخهم فقد انصرف سكان الداخلية للاتجار بواسطة القوافل وعمل أهل الساحل على ارتياح البحر فكأنوا تجاراً مستعمرین ، وساعدت سوريا سكانها ؛ فقد كانت واقعة على ممر طرق ثلات وعلى مقربة من البلاد التي قامت فيها المدنيات الأولى

وكان هذا القطر معين الحدود فالبحر والصحراء والجبال تحيط به من جميع اطرافه ، وخلقت الطبيعة فيه الكثير من الاحواجز الطبيعية ، فكان لذلك اثر عظيم في اختلاف الشعوب وتبان السكان الذين سكنوه قدماً وحديثاً تربية وثقافة وسياسة

وسوريا بلاد تكثر فيها البراكين خصوصاً في جهات حمص وحماته ، وحوالي سنة (٣٠٠٠ - ٤٠٠٠) قبل المسيح كانت الاحراج تغطي وجه الجبال حتى شاطئ البحر وكانت الحيوانات الضارية تأوي إلى دبوعها

سكان لبنان الاول

وكان سكان لبنان الاول من الصياديـن ، ولما كانت سوريا غنية بغازاتها اثارت ثروتها الطبيعية حسد جيرانها ، فهبط عليها فاتحآ غير ملك واحد ، من ملوك الشرق القديم ، ولما تناقصت الاحراج في سوريا ، كثـرت فيها الفاكهة وسكنـان الـزيـت والـزـبـب والـقـمـحـ من اـهـمـ صـادرـاتـها ، ويـقولـ بعضـ المؤـرـخـينـ انـ اـصـلـ الـزـبـبـ منـ سـورـياـ فـانـ لمـ يـكـنـ مـنـهاـ فـقدـ اـنـتـشـرـ عـلـىـ شـوـاطـيـ الـبـحـرـ التـوـسـطـ بـعـدـ انـ زـرـعـ

في ارضها وعرف سكانها ثم <sup>(١)</sup>

سوريا القديمة <sup>(٢)</sup>

اما سكان سوريا فساميون قطعاً . نزلوا الساميون من جزيرة العرب منذ اول عهدها بالحضارة ، وكان البابليون يحكمونها قبل نزول الساميين فيها سنة (٣٠٠٠-٥٥٠٠ق.م.) وكان ذلك بعد عهدهم بالتوسيع والملك وهم شعب تغلبت عليه المنصرية السامية وكان تأثيرهم في سوريا عظيماً في اللغة والتقاليد ، وفي الآثار المكتشفة حديثاً ما يدل على ان بعض ملوك بابل كانوا يحملون الاختاب من جبال لبنان الى بلادهم ونزل الساميون بعد هذا العهد على سوريا والعراق وهم بدرو رعاة يعيشون عشائر وقبائل بزعامة ابراهيم وحالتهم الماضية لا تختلف عن حالتهم الحاضرة اللهم الا قليلاً وكان (الاموريون) او لهم ثم تسلل الاراميون بعدهم الى البلاد فقضوا على السلطنة البابلية في سوريا واخذدوا ينشئون المدن فيها وكان المصريون قد بلغوا درجة رفيعة من التمدن والصناعة والقوة فسيطرلوا على الشرق القديم وامعنوا فيه فتحاً وغزواً فسقطت سوريا امامهم بعد مقاومة قليلة وكان الحكم المصري في سوريا سي الادارة قاسياً شديداً فثار السوريون غير مرة على حكامهم بيد ان ذلك لم يجدهم فتيلاً لانقسامهم وتفرقهم

(١) كان سكان لبنان الاول يقيمون في المواقع القريبة من السهول الواسعة والشواطيء البحرية كرأس نهر الكلب ويأزوون احياناً الى مفاور قرية من يتبع الماء ويتركون من صيد الوحش والاسماك ، وكانوا يقتاتون باصداف البحر ولحوم الوحش البرية

(٢) خل الحكم البابلي ثم المصري في سوريا من سنة ٢٥٠٠-١٤٠٠قبل المسيح

ولما تقدم الم thiون في القرن الرابع عشر قبل المسيح وهم قبائل متواحشة من شمالي آسيا الصغرى إلى سوريا وفلسطين وكان الحكم المصري قد تغلب عليه الضعف والفساد وجدوا سوريا مجزأة بعضها على بعض فافتتحوها عنوة بمساعدة بعض أمرائها لهم . وكانت السلطة في سوريا يومئذ للملك مصر إلا أن هؤلاء كانوا ضعاف الإرادة قليلاً الحزم . فلم يعملا على رد هذا الفاتح الجديد الذي انشأ في سوريا دولة جديدة على انقضاض الدولة المصرية

\*\*\*

## اسئلة

- ١ - صف موقع سوريا الجغرافي ؟
- ٢ - لماذا لم تقم في سوريا مدينة راقية ؟
- ٣ - قص علينا تأثير الأقليم والجغرافية السورية على السكان ؟
- ٤ - من كان أول سكان لبنان ؟
- ٥ - بناذ اشتهر السوريون ؟
- ٦ - ما تأثير البحر على سكان الساحل ؟
- ٧ - ما تعرف عن تاريخ سوريا القديمة ؟

\*\*\*

### الفصل الثالث

#### الفينيقيون في لبنان والسواحل

البحر والابحار - المراكب الاولى - التجارة الفينيقية  
علاقة المدن الفينيقية بعضها مع بعض

#### الفينيقيون في البحر

نزل الفينيقيون السواحل السورية من الشرق - الخليج العجمي -  
ووقفت جبال لبنان امامهم سداً تمنعهم عن التطلع الى ما ورائهم من  
ارض خصبة ومدن عاصمة ؟ فارتضوا بالبحر قبلة لهم وامدهم لبنان بالخشب  
فصنعوا السفن وغامروا بها فوق الامواج ؟ ولم يتركوا البر وشأنه  
بل سيروا فيه القوافل التجارية بين الشاطئي . واقصى الحدود السورية  
اما اسبق الامير الى البحر والابحار فاقربها الى الانهر ولا شك ؟  
ويقول بعض المؤرخين ان السومريين وهم من سكان بابل الاول انزلوا  
الي الخليج العجمي من الدجلة والفرات زوارق تجارية منذ خمسة الاف  
سنة ؟ وكان للמצריםين حوالي سنة (٢٥٠٠) قبل المسيح مراكب صغيرة  
تسيرها الحاذيف وهي لا تزال ظاهرة الاثر على الآثار المصرية

#### المراكب الاولى

وكانت هذه المراكب في اول امرها اشجاراً كبيرة رماها الانسان في  
البحر رغبة منه في الاستعانة بها على السباحة . ثم لما ترقى معارفه عمل

على تجويفها حتى اصبحت زورقاً عادياً كبيراً

و كانت الملاحة في البحر المتوسط بالمجاذيف اسهل منها بالاشرعة لاختلاف الريح و كثرة الانوا ، التي تمنع المركب عن السفر اياماً ؛ اذا كان يعتمد على الاشرعة فحسب ، فان كان اعتقاده على المجاذيف سهل عليه السفر في اي وقت شاء و ايان اراد ، فاذما مارست العاصفة امكنه الالتجاء الى الشاطئ ، حيث تكثر المنعرجات والخابجان

المدن الفينيقية

و كانت فينيقيا مدننا متفرقة لكل مدينة اميرها و حكومتها ا خاصة لا يربط بعضها ببعض الا رباط الصداقة ، ولم تتحالف الا ساعة الخطر لرد غاز و صد عدو ، فاذا كان الخطر ، كانت فينيقيا جبهة واحدة ، وكان على رأسها جميعاً امير من امرائها المشهورين ، و كان شرف الامارة يرجع اكثر الاحيان الى امير صيدا او صور ، ولكن هذا لم يكن يردد مقدوراً او يدفع بمحذوراً ، فاى لفينيقيا وهي الضعيفة الصغيرة ان ترد عاديه الدول الشرقية عنها ؟ كانت تقف مستمية فتقلب على امرها ؛ وتفرض على مدنها الجزية ؛ وعلى امرائها الفدية ؛ فاذا كان الخصم شديد الحسول كثير البطش ، صلب امراءها و سبي نساءها ، و هدم مدنها ؛ ثم ضمها اليه ولكن فينيقيا في اقصى الشرق ؛ فهي بعيدة عن مصر ؛ وبعيدة عن بابل و اشور و فارس ؛ فاذا كانت الصدمة الاولى تركها الفاتح لشأنها و عاد ادر اجه بعد ان يأخذ عليها العهد ان تكون له لا عليه ؛ وتعود هي نفسها قلم شعثها ؛ و توثق ما تفرق من امرها ؛ و ترتق ما فسد من شؤونها وهي بعد ذلك تسير الخصم اتقاه شره ، و تهاديه خوفاً منه

التجارة الفينيقية

وليس يساعد فينيقيا صر كزها الجغرافي ان تكون بلاداً زراعية ؛  
 ارض ضيقه قليلة الطصب ؛ تعجز عن كفاءة سكانها ؛ فهم مضطرون بحكم  
 ارضهم الى تيمم البحر وارتياد مجاهله ، نزلوه منذ اربعة الاف سنة ،  
 واخذوا يجوسونه ما شاءوا ، امراء البحر وسادة الماء ، يحملون متأجرهم  
 ومصنوعاتهم الى اقصى الارض في البحر المتوسط فإذا اقتربوا من المرفأ  
 العام ، فرزوا ببضائعهم على ظهر المراكب ، واقدوا النار ايذاناً بقدومهم ،  
 فإذا تجمهر الناس على الشاطئ ، واستعرضوا الجديد من هذه البضائع ،  
 اخذوا بوضع ما يدفعونه فيها من ثمن على الارض ، ولا زالون يزيدونه ما  
 يربح الفينيقيون لا يحرّكون ساكناً ، فإذا كانت اشارة الرضى تقدم  
 الفينيقيون ببضائعهم وتقدم المشترون باثنانهم  
 اما عباداتهم ومناسك ديانتهم فقد غالب الفسق والفحود عليها ! عبدوا  
 القوى الطبيعية من شمس ونار وعواصف ، وكان اشهر آلهتهم (عشتروت)  
 و (ادونيس) ، وكانوا يقربون الذبائح لها حتى الاطفال

اسئلة

- ١ - من اين اتى الفينيقيون الى الساحل ؟
- ٢ - لماذا انصرف الفينيقيون الى ارتياح البحر ؟
- ٣ - من اسيق الامم الى ركب البحر وماذا ؟
- ٤ - كيف اخترع الانسان الزوارق الاولى ؟
- ٥ - قص علينا ما تعرفه عن المدن الفينيقية وعلاقتها بعضها مع بعض ؟
- ٦ - من كان يقوس فينيقيا حين الخطر ؟
- ٧ - ما تعرفه عن المساومة بين الفينيقيين وزبنائهم ؟

## الفصل الرابع

فينيقيا، تجارتها، لغتها

### مستعمرات الفينيقيين

كانت صراخ الفينيقيين صغيرة خفيفة معرضة للخطر والغرق، وقد تكون زوارتنا الصغيرة الحاضرة اسلم منها عاقبة فاعجب لهؤلاء القوم يبلغون بهذه المراكب الصغيرة الجزر الانكليزية؟ وينحوضون عباب الخضم، ويستقبلون اخطاره، في عهد لا تزال فيه الملاحة طفلة صغيرة تقدم الفينيقيون في اول الاصر الى جزيرة قبرص وزن لواسنة (١٥٠٠) ق.م. الى كريت والجزر في البحر الارخبيل، واحدو فيها محطات تجارية اجلالهم عنها اليونانيون اول عهدهم بالاستعمار سنة (١٠٠٠) ق.م، فوجوا انظارهم الى افريقيا، وانحدروا من قرطاجنة (٨٠٠) ق.م. قاعدة بحرية لملكة عظيمة مستقلة، ثم ذهبوا الى اسبانيا وسیسیلیا وسردینیا، وعبروا خليج جبل طارق الى الجزر البريطانية حيث حملوا تجاراتهم الى اهلها.

### التوسيع الفينيقي

وكان للفينيقيين على الارجح محطات تجارية في البحر الاحريون، كذلك علاقتهم الحسنة مع الحكومة المصرية<sup>(١)</sup> ومن العجب تكييف

(١) اظهرت حفريات السيو مونته وهو عالم اثري افتتحته الحكومة الفرنسية الى لبنان يستكشف آثاره ان المصريين بنوا في جبيل هيكل لا تامة البلاد وذلك حوالي سنة (٢٥٠٠) ق.م وانهم كانوا يكرمون فيه (سيدة جبيل) مصورة بصورة الهتهم ايزيس

الفينيقين لعاداتهم وأذواقهم وفاصلاً لعادات وأذواق الأمم التي كانت علاقتهم معها اعتبر ذلك في المصريين الذين كانوا يكرهون الأغраб ويطردون من بلادهم كل غريب كيف أحبوا الفينيقين حتى انهم اذروا لهم بالسكن في العاصمة وبناه معبد فيها

كذلك ساعد الاشوديون تجارهم وحموا قوافلهم حين مرورها

بعلمائهم

## التجارة الفينيقية

وكان الفينيقيون ينقلون المصنوعات الشرقية الى كل بلاد الشرق والغرب في التاريخ القديم فقد حملوا المصنوعات السورية والبابلية والمصرية الى ايطاليا وسواحل البلطيك وحملوا من هذه مصنوعاتها الى الشرق . وكانت الامم تتبع هذه المصنوعات وتعمل على تقليدها وحمل الفينيقيون ايضاً معهم في سياحاتهم التجارية هذه تمدن الشرق الى الغرب وعادات الغرب الى الشرق فكانوا رسل التمدن في الشرق القديم

ولقد اخذ الفينيقيون بكل اطراف التجارة في عهدهم فاتجروا بالاقمشة والحبوب والزيوت والجلود والاثمار والرقيق والجوهر والرياش والفحار المزین بالالوان ، وحملوا الاخشاب من لبنان الى مصر وبابل ، واشتهروا بانواع اختصوا فيها من الاصباغ ، وقد اسموا اليونانيون ( بالفينيقين ) تنويرًا بشهرتهم في هذه الصناعة ، وكانوا يدعونهم اولاً ( الصيداويين ) لأن صيدا اول المدن الفينيقية شهرة وظهوراً في التاريخ القديم . فزادوا غنى وامتد العمار والبذخ الى اقصاه في مدنهم المختلفة

على شواطئ سوريا وما برحنا نجد بين الآثار المصرية رسوماً تمثلهم وهم في مراكبهم في عرض البحار

بين مصر وفينيقية

ولما اكتشفت الرسائل التي دارت بين ملك مصر وعماليه في سوريا سنة (١٨٨٨ ق.م.) في قل العمارنة في مصر وهي صحائف فخارية يرجع عهدها إلى القرن الخامس ق.م. وكانت سوريا في هذا العهد تحت الحكم المصري كا هو معلوم وجد المؤذخون دليلاً جديداً على علاقة سوريا وفينيقية بصر اذ ان كثيراً من هذه الرسائل كانت بين ملك مصر والامراء الـوريـنـ المـخـلـفـينـ وـاصـرـاءـ المـدـنـ الفـيـنـيـقـيـةـ المـخـلـفـةـ ايـضاـ اـمـثـالـ بـيـرـوـتـ وجـيلـ والـبـرـوـنـ وـصـيـداـ وـعـكـاـ وـصـورـ

اللغة الفينيقية

ولكن اعظم اعمالهم بل اعظم خدماتهم للتمدن هي الحروف المجانية التي كانت مستعملة عندهم حوالي سنة (٩٠٠ ق.م.) والتي حلوها معهم الى البلاد اليونانية وهو لا بد منها عنهم وعدلوها قليلاً حتى تطابق اذواقهم وعن اليونان اخذها الرومانيون وعن هؤلاء اخذها الاوربيون اما اللغة الفينيقية فاول اللغات التي وضعت في احرف هجائية وذلك قبل المسيح باثني عشر قرناً والفينيقية لغة سامية وهي قسيمة اللغة العبرانية وشقيقتها وهي اللغة التي استعملها ابناء الساحل السودى نحو من ست او سبع مئة سنة ببدايتها القرن الثاني عشر قبل المسيح . ومن الغريب ان الذين نشروا حروف الهجاء وانشأوا منها حروفاً لغتهم لم

يتركتوا لنا اثراً كتابياً ، ولعل سبب ذلك ان كتابتهم كانت بالاسكندرية وعلى مادة سريعة التلف ، فاقدم الكتابات الفينيقية لا يرجم الى ما هو قبل القرن السادس قبل المسيح واسكناها مما وجد في قبرص ومصر والمستعمرات الفينيقية لا على الساحل السودي . وظلت الفينيقية لغة الساحل حتى اقترنت بها اللغة الaramية

...

### اسئلة

- ١ - ما عدد المستعمرات الفينيقية ؟
- ٢ - لماذا احب المصريون الفينيقين وسمحوا لهم بالسكنى في بلادهم ؟
- ٣ - ما الذي تعرفه عن التجارة الفينيقية
- ٤ - تكلم عن علاقات فينيقيا ومصر
- ٥ - لماذا لم يترك الفينيقيون اثراً كتابياً ؟

\*\*\*

### الفصل الخامس

سوريا في عهد اليهود واشور وفارس

تسليت عناصر ثلاثة الى سوريا في خلال القرن العاشر قبل المسيح ، الaramيون وهم شعب سامي انشأوا عدة ممالك صغيرة في سوريا اهمها

ملكة دمشق، وقد تكنت هذه المملكة غير مررة من رد الاشوريين  
والاسرائيليين عن سوريا<sup>(١)</sup>

ثم بنو اسرائيل وهم بدو ساميون هبط بعضهم سوريا وذهب القسم  
الآخر الى مصر، ولم تطل مدة اقامته فيها فغادرها الى فلسطين حيث  
اخوانه الاول قد استوطنوا وكان بينهم وبين الكنعانيين<sup>(٢)</sup> حروب  
شديدة انتهت بانتصار الاسرائيليين عليهم وتأسيسهم اول دولة يهودية  
في التاريخ

ثم الفلسطينيون وهم قوم نزحوا من جزيرة كريت وكانت بينهم  
 وبين اليهود مناوشات وحروب انتهت بانتصار اليهود وتغلبهم على  
مناوشتهم واعدائهم<sup>(٣)</sup>

#### الملكة اليهودية

ليس لهذه المملكة شأن في التاريخ القديم من حيث اثارها وادارتها

(١) ملكت الدولة الارامية في دمشق ثلاثة قرون وكان بينها وبين اليهود  
والاشوريين حروب عديدة

(٢) الكنعانيون قبائل سامية استوطنت جنوب سوريا، كانوا يتكلمون بلغة  
دعوها فيما بعد العبرانية لأنبني اسرائيل اخذوها عنهم . وسكن الاموريون في  
وادي العاصي

(٣) اخذ يتسلل في القرن الثاني عشر والثالث عشر الى سوريا شعوب غريبة اتت  
من الغرب عن طريق اسيا الصغرى واليونان وقد تكنت هذه الشعوب من القضاة  
على ممالك المصريين ودولة الحثيين في سوريا ، ومنهم قوم يقال لهم (الفلسطينيون)  
نزلوا جنوب الكرمل علي شاطئ البحر فطلق اسمهم على تلك الارض كلها فدعيت  
« فلسطين »

ووفتوحاتها ، فقد كانت في كل ذلك مملكة ثانية وليس يهمنا من تارينجها الا ان عمرها كان قصيراً جداً ، وان ضعفها كان ظاهراً

كان اليهود بعد خروجهم من مصر وانتشارهم في فلسطين اثني عشر سبطاً يديرون شؤونهم ويحكم بينهم (قضاء) منهم ، ثم تأقروا الى الملك فسح احد قضائهم في القرن الحادي عشر قبل المسيح شاول ملكاً عليهم وخلفه داود فوسعم مملكته من نهر العاصي حتى البحر الاحمر ؛ وجعل قاعدتها اورشليم ؛ وجاء بعده سليمان وبني في اورشليم الميكل والبلاط ؛ واستعان بعمره من الصناع الفينيقيين او فدهم اليه حيرام ملك صور ؛ وبعد وفاة سليمان سنة (٩٥٠ق.م) انشقت اسپاط اليهود الشمالية عن اسپاط اليهود الجنوبية وتآلفت مملكتان يهوديتان مملكة اسرائيل وعاصمتها السامرية (سبطيه قرب نابلس) ومملكة يهودا وقاعدتها اورشليم (القدس الشريف)

واذن هذا الانقسام يانهيار المملكة ؛ فقد كان اليهود عصبة ضعيفة لا تدفع بمذوراً وان كانت متحدة في جهة واحدة ؛ فكيف بهم وقد دب الانقسام اليهم وتسلل الضعف الى صفوفهم ، وفي سنة ٧٢٢ق ٥٠ م هاجم سرجون مملكة السامرية فدمرها . وقضى (تبورخذنصر) ملك بابل سنة ٥٨٦ على الدولة الثانية وعاصمتها القدس وحمل اهلها اسرى الى بابل حتى اطلقهم كورش الفارسي مؤسس المملكة الفارسية

ولقد اشتهر اليهود في التاريخ بما ذهبوا اليه من توحيد الله وعبادته وحده . فكأنوا اسبق الامم الى المذهب التوحيدى ؛ واسر عهم الى تفسير القوى الطبيعية الغامضة بما يوافق ذلك العصر

## ashur وفارس

وتتابع على حكم سوريا بعد هذا العهد دولتان عظيمتان اولهما اشور وهي دولة عسكرية نشأت في جنوب العراق واخذت حلات ملوكها تتواتي على سوريا منذ عهد اشورنا سير بال ٨٨٤ - ٨٦٠ حتى دان لهم معظم البلاد بعد معارث عظيمة<sup>(١)</sup>

وما ضعفت اشور وتبدعت المملكة وسقطت نينوى العاصمة امام حلات الحلفاء من البابليين والفارسيين والماديين ظهرت في الشرق القديم في فارس دولة جديدة ، كان مؤسساها الاول كورش ، فسقطت سوريا بدورها تحت النفوذ الفارسي حتى ظهر الاسكندر المقدوني واستولى عليها

وكان سوريا ايالة فارسية وصيدا عاصمة الايالة ، واضحت السفن الفينيقية وعددها ٣٠٠ نواة للاسطول الفارسي الذي حارب اليونانيين

\*\*\*

## اسئلة

- ١ - سُمِّ العناصر التي دخلت سوريا في خلال القرن العشرين ؟
- ٢ - كيف دخل بنو اسرائيل الى سوريا ؟
- ٣ - اذكر ما تعرفه عن المملكة اليهودية ؟
- ٤ - من اطلق اليهود من الاسر ؟
- ٥ - تكلم عن استيلاء اشور وفارس على سوريا ؟

(١) ولا يزال في لبنان من عهد الاشوريين بعض الآثار الدالة على ثبوت قدمهم فيه ، فمن ذلك ما يرى في مضيق نهر الكلب فان هناك عدداً الآثار المصرية التي تمثل

## الفصل السادس

سوريا في عهد اليونان - الاسكندر وملكة السلوقيين

من سنة ٣٣٣ - ٦٤ ق م

### نظرة في الوحدة السورية

رأينا في الصفحات الماضية كيف انتقلت سوريا من حكم دولة الى اخرى فهي لم تعرف الاستقلال الا غراراً ولم تتمكن من تأسيس دولة قوية واحدة مع ان هناك جامعه بين سكانها كان يجب ان تساعد على الوحدة وان تعمل على لم الشمل فكان هناك لوحدة السياسية جامعه الارض واللغة والتقاليد وكان ضعف الوحدة السياسية عند

رمسيس الثاني اكثر ملوك مصر اعماضاً في الفتح قاماً في ثوبه الملكي امام معبده (راع) احد الآلهة المصرية ، وتوقس الثالث الذي سار على آثار رمسيس الثاني في الفتوحات والغزوات ، خمساً من الصنائع الاشورية فيها تصاوير وكتابات شتى للملك اشور الذين قطعوا النهر في ذلك المكان ، فالكتابات بالقلم المسحاري تتضمن تاريخ غزوات الاشوريين لمصر والسواحل السورية ، ومع الكتابة صور ملوكهم بازيائهم الفاخرة ، اخصها رسم أحد ملوك اشور بلحية طويلة مجعدة وهو لابن رداء ساقع الذيل وعلى رأسه تاج ملوك اشور . وهناك اثار اشورية غيرها في جبل اكروم من اعمال عكار وفي وادي بريسة على مسافة عشرة كيلو مترات من الم Hormel

السودين من الاسباب التي عملت على اذلالهم وتغلب الدول الكبيرة عليهم وكان هناك ايضاً سبب جغرافي وهو ان سوريا كانت تقع في طريق هذه الدول فان كانت الدولة مصر فلم تكن لتتمكن من النزول الى بابل او اشور الا باقتحام سوريا ، وكانت مصر وهي ضعيفة لقمة سائفة لا شور وفارس وطريق 'الفتح اليها القطر السوري'، فلا عجب بعد ذلك اذا ظلت سوريا مفككة العرى مشتتة الجامدة لانه يصعب على الجامعات السياسية ان تقوى وتنمو في غير جو مطمئن يتد عليه السلام مدة طويلة . ولقد تغلبت على سوريا كل دول الشرق القديم فلما ضعفت الوحدة السياسية في الشرق ولع نجم الغرب . نزل اليونانيون بقيادة الاسكندر المقدوني الى سوريا فكان هذا القطر احدى المقاطعات التي تولف الامبراطورية العالمية الكبرى التي اراد الاسكندر انشاءها . ولما توفي الاسكندر وقام بالاسر خلفاؤه من بعده وقواده في جيشه واقتسموا الامبراطورية فيما بينهم كانت سوريا حصة السلوقيين نسبة الى سلوقي احد قواد الاسكندر (٣١٢) ق م . وكانت عاصمتها انطاكية في شمال سوريا ، وهذه هي المرة الاولى في التاريخ القديم تتألف في سوريا دولة منظمة بعد الدولة اليهودية البسيطة في شكلها وادارتها ايام داود وسليمان

### الملكة السلوقيّة

ولقد قسم سلوقي الاول - (٣١٣-٢٨١) مملكته الجديدة الى اثنين وسبعين ولاية ، وبنى انطاكية ، شيد اللاذقية ، وقد فازع ملك مصر السلوقيين على البقاع ودمشق وبلاط الاردن فكانت

بين الملوكَيْن ملاحِمة انتهت بانتصارِ السلوقيّين في موقعة بانيون سنة  
(١٩٨) ق.م

واشتهر السلوقيّون ببنائهم العظيمة فزأوا مدنهم بالآروقة والمسارح  
وميادين الرياضة والهياكل الفخمة

وأنشأوا مستعمرات عديدة اسكنوها بالجود القدّيعة من اليونانيين  
منها سلوقيّة على نهر دجلة والصالحيّة على الفرات ، وانتشرت على عهدهم  
الحضارة اليونانية في سوريا ، ونبغ في السوريين بعض الشعراء والأدباء .  
واعظم الملوك السلوقيّين بعد سلوقي انطيوخوس الاول (٢٨١ -

٢٦١ ) وكان ملكاً عظيماً ، وانطيوخوس الثالث ٢٢٣ - ١٨٧ وهو الذي  
اغار على بلاد اليونان واشتباك في قتال مع الرومان ففُلبوه فيه واخذوا منه  
الاقاليم الواقعة في شمالي جبال طوروس ، وانطيوخوس الرابع ١٧٥ -  
١٦٤ وهو الذي اراد فتح مصر وكانت يفتحها لولا معارضة رومية له

• • •

### اسئلة

- ١ - عدد الاسباب التي قضت على الوحدة السوريّة ؟
- ٢ - كيف انتقلت سوريا من حكم الشرق الى الغرب ؟
- ٣ - تكلم عن اعمال سلوقي الاول ؟
- ٤ - اذكر اعمال السلوقيّين العُمرانية ؟

\*\*\*

## الفصل السابع

- سوريا في عهد الرومان -

القضاء على اليهود ، السيد المسيح ، زينب التدمرية  
٩٥٤ ق م -

### رومية في سوريا

لم تعمم الدولة السلوقية طويلاً فقد سقطت لما تقدم الرومان بخليهم  
ورجلهم سنة ٩٤ ق م وضمت سوريا إلى (رومية) وسميت مقاطعة سوريا  
وكان الحال في سوريا حسنة جداً فقد زادت تجاراتها وتركت صناعتها  
تحت الادارة والسلام الرومانيين وكان السوديون يعتقدون انهم قد اصبحوا  
من الرعايا الرومانيين لهم من الحقوق ما للروماني وعليهم ما عليه. الاتى  
بطرس الحواري كيف نادي بذلك على ملاً من الناس ثقة منه ان في  
هذه الحجة ما يكفيه شر اعدائه وخصوصاً

### القضاء على اليهودة

ولم يرق اليهود الحكم الروماني فشاروا سنة ٦٦ م وشقواعصا الطاعة فزحف  
عليهم الامبراطور فسباجيان وحصرهم في اورشليم غير انه توقي قبل  
فتحها . فقام بالامر بعده تيطوس ابنه وافتتحها عنوة واحرقها بالنار  
وهدم المياكل حجراً حجراً (٨٠ م) وقتل الكثير من اليهود وكان في ذلك  
القضاء الاكبر على الحكم اليهودي واستقلاله الذاتي فتشتت اليهود بعد هذا  
الفاجعة في اقطار العالم

سوريا و أهميتها

و كانت سوريا من اهم مقاطعات الامبراطورية يرسل اليها الامبراطور امهر القواد و اقدر الساسة الرومانين . و كان لا يزال في سوريا بعض المدن المستقلة من كزياً والتي تمت بمحاب من الاخلاص والعبودية الى الحاكم الروماني نائب الامبراطور

و كان بعض السوريين يتطوعون في الجيش الروماني في رسلون احياناً الى مصر و افريقيا و الحدود الالمانية و كان عدد سكان انطاكية العاصمة (٣٠٠) الف نسمة وكانت التجارة السورية بالاقشة الملونة والزيت والجوب قولاً اسواق العالم

اللغة اللاتينية

ولما اجتاح القائد الروماني يومي البلاد السودية دخلت سوريا لغة جديدة هي اللغة اللاتينية التي اصبحت لغة الحاكم والتشريع والسياسة وكان الرومانيون في سوريا قلائل اقام معظمهم في المدن الساحلية والمراعي التجارية فاصابهم بتواتي الاعوام ما اصاب المستعمرین اليونان من الانقراض امام المنصرية السورية

اللغة الارامية

و كانت الارامية في ذلك العهد لغة البلاد و كان العنصر الغالب في كل الحالين العنصر السامي لا العنصر الاوروبي و خلاصة القول ان اللغة الشائعة في سوريا ولبنان من بفر التاريخ حتى الفتح العربي كانت ابداً لهجة سامية امورية اولاً فارامية وفيزيقية

و عبرية ثانية و ان اللغات غير السامية من فارسية و يونانية و لاتينية عجزت  
ان تسيطر على غير الدوائر الرسمية وليس من شك اليوم ان اللغة  
الارامية وأخصها السريانية كانت لغة السواد الاعظم في سوريا ولبنان  
وانها كانت السائدة في القرن السادس قبل الميلاد الى بدء القرن

الحادي عشر بعده

### السيد المسيح

وفي عهد الامبراطور اوغسطس ربى القائد الاشهر يوليوس قيصر  
ولد المسيح عليه السلام في مدينة الناصرة من اعمال فلسطين واخذ بالتبشير  
والدعوة لعبادة الله جل شأنه وسار تلامذته من بعد على سيرته وانتشرت  
المسيحية حتى اصبحت دين العالم الاروبي وبعض الاسيوي والاميركي  
والافريقي وهي اكبر الديانات اشياعاً وانصاراً

الفرس والرومان وتدمر

و كان الفرس يعملون سراً على اكتساح سوريا فلما سُنحت لهم الفرصة  
تقدمو انحصارها و هددوا ولايات الامبراطورية الشرقية و احرقوا اقطاعيه  
عاصمة سوريا سنة ٢٦٠ م فانبرى لردهم زعيم عربي يسمى أزيزه سليل  
امراء تدمر شفظ له الرومان هذا الصنيع و اطلقوا يده في حكم تدمر  
وما جاورها من البلاد

زينة التدميرية

ولما توفي في سنة ٢٦٧ م قامت بالامر بعده امرأته زينة و كانت  
ذات دهاء و حزم فجذبتها نفها بالاستقلال و طمحت الى مصر فافتتحتها

وهددت اسيا الصغرى الا انها غلت على امرها فتراجعت حتى تدمر  
وشدد الرومان عليها الحصار حتى سلمت سنة ٢٧٢ م فحملوها الى رومية  
حيث قضت نحبها ودمر الرومان تدمر بعدها حتى لا تقوم لها قافلة .

\*\*\*

## اسئلة

- ١ - كيف كانت الحالة في سوريا حين تقدم الرومان اليها ؟
- ٢ - كيف ضربت اورشليم ؟
- ٣ - ما تعرف عن اهمية سوريا في عهد الرومان ؟
- ٤ - متى ظهر السيد المسيح ؟
- ٥ - تكلم عن تأثير اللغة اللاتينية والارامية ؟
- ٦ - ماذا تعرف عن زينب العربية التدميرية ؟

\*\*\*

## الفصل الثامن

سوريا في عهد الدولة البيزنطية

٦٣٤ - ٣٩٥ م

الحالة العمومية - التجارة والصناعة - بين فارس والروم  
السوريون وسوء الادارة

الحالة العمومية

لما انتقلت عاصمة الامبراطور الروماني من الغرب الى الشرق

ظللت سوريا تابعة للامبراطور الروماني في القسطنطينية ولم يكن حظها حسناً ولا عهدها براقاً لاماً فقد تجذرت فيه الى اقسام كثيرة فاصبح شعماها ثلاثة اقسام وقسمت فينيقيا الى قسمين فينيقيا البحريه وعاصمتها صور وفينيقيا التاريخية وقد ضمت اليها بعلبك والشام وحصص وتدمير ولم تكن السياسة الرومانية في سوريا عادلة ولا منصفة فقد زادت الضرائب وقلت الاعمال الاصلاحية واخذت الضعف في هذا العهد يتسلل الى جسم الامبراطورية الرومانية فأخذت تعمل على دفعه ما استطاعت بتحصين المدن وانشاء المراکز للدفاع عن الحدود

### مدرسة بيروت الحقوقية

وكان الله الاراميه ترداد انتشاراً ومدرسة بيروت الحقوقية تزيد رقىً وشهرة وكانت اللاتينية لغة التدريس الرسمية فكان يقصدها الطلاب من كل الانحاء حتى من القسطنطينية نفسها ولكن ثارت الطبيعة بفأة وزلات الارض زلماها سنة (٥٥٥) م فانهارت المدرسة وهلك ثلاثون ألفاً من السكان وكانت المدمة ساحلية عمومية الا انها اصابت بيروت بالشر الاكبر والنكبة العظمى

وكان السوريون غاضبين ناقين على الادارة الرومانية وقد طالبو بالاصلاح فلم يلب اولوا الشأن في العاصمة طلبيهم وزاد الامر خرقاً ظهور الارثوكسية في القسطنطينية ونشوء الاختلاف بسببها بين افراد الشعب حتى في المقاطعات والمستعمرات الرومانية

التجارة والصناعة

اما التجارة السورية فكانت زاهدة ب رغم الحالة السياسية وكان السوريون يقصدون العالم براً كثيرون وكان لهم مستعمرات مهمة في إيطاليا واسبانيا وبلاط غاليا ويقول بعض المؤرخين ان الفينيقيين أنفسهم هم الذين أتوا بالحرير من الصين وكانت الصناعة السورية راقية ايضاً فادوات الزينة والنحت والرسم كانت في صناعتها تختلف عن الصناعة الرومانية المعروفة والفن اليوناني القديم وكثر التأثير في الصناعة السورية واستعملت الأحجار للبناء بدلاً من الاجر والفخار وهو المستعمل لذلك العهد

بين فارس والروم

اما الروح الوطنية فكانت قوية في سوريا ولكن انقسام السوريين عمل على تخاذلهم فلم يستفيدوا من هذه الروح في فترة من الزمن كانت فيه الامبراطورية الرومانية في شاغل عن سوريا والحدود السورية بفتحها في افريقيا واوروبا

فكانت الحامية الرومانية متراكمة وشأنها تدبر أمرها بنفسها في القطر السوري فلما تحركت القبائل العربية الضاربة حول العراق ونواحي الحيرة باسم النعمان ملك العراق ورأى سيده ملك فارس وهو من العائلة الساسانية نحو سوريا لافتتاحها ردتهم الفسحة عمال الروم وهم من العرب وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى نشأ بين الفسحة والروم خدام فتح ابواب سوريا على مصراعيه للفرس ثم للعرب من بعدهم

خسرو ملك فارس

ولقد تقدم خسرو ملك فارس سنة (٥٤٠) م الى سوريا بطريق المنج حتى حلب فاحرقها لانها عجزت عن دفع الغرامة الهائلة التي فرضها عليها

ولما انتهى خسرو من حلب تقدم الى انطاكية عاصمة سوريا فافتتحها عنوة واخذ اهلها اسرى وبذلك سقطت هذه المدينة التاريخية عن مقرتها السامية في الشرق القديم ورأت الامبراطورية الرومانية عجزها عن رد خسرو فتعاهدت

وایاہ ان تعطيه ما طلب من بلاد ومال وفي سنة (٦٠٢) م قتل (فو كاس) احد النبلاء في القدسية الامبراطور موريث فتقدمن خسرو الى سوريا للاخذ بثار الامبراطور وهو في الحقيقة يعمل لحسابه والنها والسلب فقط ولما تمكن الامبراطور هرقل خليفة الامبراطور موريث من التغلب على فوكاس سنة (٦١٠) ب م اخذ يتأهب لرد خسرو عن الامبراطورية الرومانية

الفرس في سوريا

وكان الفرس في ذلك الحين يتقدمون في الامبراطورية وهم ينتقلون من فتح الى فتح ومن نصر الى نصر خلو البلاد من وسائل الدفاع ولا خلاف اثنائهما وانقسامهم على بعضهم وخيانته بعض سكانها كاليهود والسامريين الذين انضموا للفرس واطلقوهم على عورات البلاد وفي سنة (٦١٤) م دخل الفرس الشام ونهبوها واخذوا اهلها

اسرى وفي السنة التالية تقدموا الى فلسطين وحاصروا القدس وفي سنة (٥١٥ ق.م) افتتحوها وذبحوا اهلها واخذوا الصليب معهم الى بلادهم ثم تقدموا نحو مصر والانضول بعد ان ضموا سوريا اليهم والفوا منها مقاطعة فارسية

الامبراطور هرقل

وحيثند نص الامبراطور هرقل من سباته وتقدم باسطوله حتى خليج الاسكندرية واخذ يربت وسائل الدفاع وتقن في ستة معارك متواترة من انقاذ الامبراطورية ورد الفرس الى ما وراء الفرات واجبر الملك خسر على رد الصليب وطلب الصلح

ولقد كان على هرقل ان يعمل بعد هذا لما فيه المصلحة العامة فيرتق الفتى ويلم الشعث ويؤلف بين القلوب ويوحد الاراء المذهبية المتفرقة بيد انه لم يفعل من ذلك شيئاً بل زاد الضرائب لأن الخزينة كانت فارغة وتدخل في الاختلافات المذهبية فكان ذلك سبباً لنفور السوريين منه ومن سياسته وادارته

الارامية السريانية

اما الاراميون الساكنون في سوريا بعد ان اعتنقوا الديانة المسيحية فقد مالوا الى التبلس باسم السريان وهو الاسم الذي اطلقه عليهم اليونانيون واستنكفو من استعمال لفظة (اراميين) لما علق بالاذهان من كراهة الونتية القديمة في هذه اللفظة ولما انتشرت تعاليم نسطور فيما بينهم في اواخر القرن الخامس وكانت يومئذ تقاسهم سلطتان او نفوذان الفرس

والروماني اعتنق معظم السريان الشرقيين اخاضعين لدولة فارس العقيدة النسطورية وانضم السريان الغربيون اخاضعون للروماني الى مذهب اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة وصار بين الفريقين اختلاف ديني تبعه اختلاف لغوي فاطلق اسم السريانية على اللهجة السورية والكلدانية على الفرع الشرقي على ان الفرق بين اللهجتين سطحي وهو مقتصر على لفظ بعض الاحرف والحركات وشكل الخط

وخلالاً من ان اللغة الaramie السريانية هي التي كانت سائدة في سوريا حين دخلها العرب وهي اللغة التي نازعتها العربية تزاعماً شديداً حتى اقتلعها وتأصلت مكانها

\*\*\*

### اسئلة

- ١ - كيف كانت سوريا في عهد بيزنطيه ؟
- ٢ - صفتنا الحالة العمومية ؟
- ٣ - ما تعرف عن مدرسة بيروت الحقوقية ؟
- ٤ - هل كان السوريون راضين عن السياسة الرومانية ؟
- ٥ - كيف كان حال التجارة ؟
- ٦ - تكلم عن غارات الفرس على سوريا وابايتها ؟
- ٧ - ما تعرف عن خسرو وفتحاته ؟
- ٨ - صفتنا انتصارات هرقل ؟
- ٩ - تكلم عن اللغة الaramie السريانية في سوريا ؟

\*\*\*

## القسم الثاني

سوريا ولبنان بعد الفتح العربي

### الفصل التاسع

الفتح العربي سنة ٦٣٤ بعد المسيح

العرب في الجاهلية ، الشعر والعرب ، الخلق ، الراشدون ، فتح العراق وسوريا

#### العرب في الجاهلية

كان العرب يقيمون في شبه الجزيرة العربية وكانوا قبل الاسلام كما هم اليوم قبائل وعشائر تعيش في بلاد كانت ولا تزال قاحلة ، لا يتوجه نظر احد للاستيلاه عليها اذ لم يكن في ذلك الفتح فائدة محسوسة ، وكانت تعتمد في قوامها الاقتصادي على التجارة والشمرات القليلة الضئيلة التي تنبت في ارضها وكان جل اعتناد اهلها على التجارة اذ كان البر ظاهرة صالحة للنقل ولم يكن العرب تجارة ولكنهم كانوا حماة للتجارة التي تمر بارضهم من غزو القبائل لها واستيلائهم عليها . وهذه حياة قل ان يستقر صاحبها الى ذريته وقل ان تسمح له بالفرغ الى مظاهر الحياة الفنانية وقل ان تسمح بقيام المدن والجماعات المتشابكة المصالح القائمة

حياتها العامة على التضامن والتنافس وما يزال هذا شأن الجزيرة الى يومنا هذا فالمدن فيها قليلة والحضارة ضعيفة والقبائل لا تزال تضرب في ارض الجزيرة تبغي رزقَّهُوا و ما ضانعا

## العرب قبل الاسلام والشعر

وتاريخ العرب قبل الاسلام عامض مجهول وهو لا يروي عن تاريخهم القديم شيئاً راهناً وروياته لا تدل على اكثـر من ان العرب كانوا اهل بأس ونجدـة وحياة معنوـية فـيـاضـة . كانوا اهل ادب وـشـعـرـ فـنـانـ وـحـيـاةـ في الـبـداـوـةـ تـقـومـ عـادـةـ عـلـىـ الشـعـرـ وـأـنـتـ تـسـتـطـعـ اـنـ تـبـحـثـ عـنـ فـلـاسـفـتـهـمـ وـحـكـاـيـهـ وـقـادـتـهـمـ وـسـاسـتـهـمـ وـمـدـبـرـيـ اـمـوـاـهـ ، ثم تستطيع ان تبحث عن فـلـاسـفـتـهـمـ وـدـيـنـهـمـ وـنـظـمـهـمـ الـخـلـفـةـ وـحـيـاةـ عـقـولـهـمـ وـعـوـاطـفـهـمـ فـلـاـ تـجـدـهـاـ الاـ فـيـ الشـعـرـ . فالـشـعـرـ اذاـ هوـ اوـلـ مـذـهـرـ مـنـ مـظـاهـرـ الـحـيـاةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ الـقوـيـةـ لـتـلـكـ الـاـمـةـ الـبـدـوـيـةـ ؟ وهـلـ كـانـتـ تـقـومـ الحـضـارـةـ الـاسـلـامـيـةـ الـتـيـ ظـهـرـ فـيـهاـ مـنـ ظـهـرـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـافـذاـ الرـجـالـ لـوـمـ تـوـجـدـ الـبـداـوـةـ الـعـرـبـيـةـ الـتـيـ سـيـطـرـ عـلـيـهـ اـمـرـ وـقـيـسـ وـالـنـابـغـةـ وـالـاعـشـىـ وـزـهـيرـ وـغـيـرـهـمـ مـنـ اـمـرـاءـ

الـشـعـرـ فـيـ الـعـصـرـ الـجـاهـلـيـ قـبـلـ الـاسـلـامـ

وـلـماـ جـاءـ الـاسـلـامـ كـانـتـ شـبـهـ الـجـزـيرـةـ عـلـىـ حـالـمـاـ الـقـدـيمـ مـنـ الـبـداـوـةـ وـالـانـقـاسـمـ وـكـانـتـ شـيـعاـ وـقـبـائـلـ كـلـ مـنـهـاـ ذـاتـ كـيـانـ مـسـتـقـلـ بـحـالـهـ مـنـ ذـبـ وـتـقـالـيدـ وـلـهـجـةـ عـرـبـيـةـ تـخـتـلـفـ قـاـيـلاـ اوـ كـثـيرـاـ عـنـ لـهـجـةـ قـرـيشـ وـلـكـنـهـ كـانـتـ جـمـيعـاـ ذـاتـ حـيـاةـ مـعـنـوـيـةـ وـادـيـةـ مـمـتـازـةـ فـيـ الـقـوـةـ وـكـانـتـ هـذـهـ الـحـيـاةـ الـمـعـنـوـيـةـ السـامـيـةـ لـاـ تـتـقـعـ مـعـ بـعـضـ الـعـقـانـدـ وـالـتـقـالـيدـ الـتـيـ اـكـتـسـبـهـاـ

العرب من عقائد الشعوب المعاودة كعبادة الاوثان وغيرها لذلك وجدت  
كلة الاسلام في بساطتها وقوتها مرجعى خصباً ومجالاً واسعاً

الوحدة العربية

ولقد توفي النبي العربي عليه السلام سنة (٦٣٢) بعد ان وحد  
العرب وجعلهم على كلة واحدة وانشأ لهم قومية وعنصرية دينية وقام بالامر  
بعده الخليفة ابو بكر فارسل البعثة الى العراق وسوريا تبغي فتحا  
وغزوآ . ولما كان الوهن قد تطرق الى فارس والروم عجزت جنودها  
عن الثبات امام جيوش القومية الجديدة النشيطة الفتية فسقطتا وانهارت  
امام القبائل العربية مملكتان من اعظم ممالك التاريخ القديم بأساؤ نشاطاً  
وسلطاناً . وانقضت على بلادها هذه القبائل المتفرقة توغل فيها غزوآ  
وفتحاً ونصراء

عصر الخلفاء الراشدين

لا جرم ان عصر الخلفاء الراشدين من اروع عصور الاسلام فانت  
تحس فيه الجلال وانت ترى في خالله العظمة الاخلاقية وانت تتسم في  
رجليه الاولين معنى قد لا تجده في تاريخ كثيرين من ابطال العالم ذلك  
انك تجده فيه صوراً من الوطنية جديدة والواناً من التضحية وترفع النفس  
لا تجدها في غيره من العصور

الخليفة ابو بكر ٦٣٢ - ٦٣٥

كان ابو بكر اول الخلفاء الراشدين وكانت بيته بالخلافة - ٦٣٢

وكان فاتحة اعماله محاربة العرب من البدو الذين ارتدوا عن الاسلام وقد منع بعضهم الزكاة فجهز عليهم ابو بكر البعوث وكان عددها اثني عشر بعثاً فما انفك عنهم حتى دَرَّتهم الى الاسلام والطاعة

### فتح العراق وفارس

وكان المثنى بن حارثة في هذه الفترة وهو من كبار القواد المسلمين يناجز الفرس وعماهم من العرب في العراق وكان قد اوغل في الانتصار واجل في الفتح فلما عرف الخليفة بانتصاره هذه وكانت قد انتهت معارك الردة في جزيرة العرب ورجع خالد بن الوليد فائزًا مُنتصراً انفذه الى العراق وضم اليه المثنى بن حارثة فنازل خالد الفرس في عدة معارك وفتح الخيرية عاصمة العراق . وكانت معركة السلاسل فغلب هرمز قائد الفرس واستولى على ذخائره وامواله . وجاء الامر بعدها الى خالد بن الوليد ان ينزل الى سوريا فيترעם قواد العرب المُتفرقين فيها مقدمة للمعركة الفاصلة ؟ وكان عمر بن الخطاب قد امر (ابا عبيد) على جيش العراق وانتصر المسلمون في عهد هذا القائد على جيش من الفرس الان قائدتهم سقط في معركة الجسر فرد عمر بن الخطاب المثنى الى قيادة الجندي وانفذ اليه الرجال والعتاد وكانت المعارك في العراق وببلاد فارس تسير ببطء ذلك ان الطرق كانت تكون معدومة وكان تجهيز جيش وارساله الى ساحة القتال يحتاج الى وقت طويق فلما تمكن المثنى في سنة ٦٣٥ من مناجزة الجيش الفارسي الجديد في معركة البويب هزمها وقضى عليه واهتمت حكومة فارس للأمر واحست بالامبراطورية تتفكك

عراها ان خلل العرب على تقدمهم فانفذ كسرى الى رستم احد رجاله ان يضم اليه ما يتمكن من جمعه من الجند وان يننزل العرب في معركة فاصلة ورأى المثنى استعداد الفرس لحالته فنزل بنفسه الى المدينة يفاوض الخليفة عمر بن الخطاب ويطاعمه على احواله العسكرية في ميدان العراق فاظهر عمر اهتماماً فائقاً وانفذ من فوره ما عنده من الجند وعقد القيادة لسعد بن ابي وقاص احد كبار الصحابة . وكان المثنى قد اصيب بجرحات عديدة في معركة الجسر ما زال اثراها ظاهراً فاثرت عليه واضنه فقضى نحبه قبل ان يرى تحقق آماله من سقوط الامبراطورية الفارسية امام الامبراطورية العربية الفتية

ولسان نتوسم في البحث عن الفتح الفارسي بل حسبنا ان نقول ان سعد بن ابي وقاص نازل رستم القائد الفارسي في معركة القادسية فهزم الجيش وقتل قائده وكان في ذلك القضاء على الامبراطورية الفارسية وقيام العرب في عاصمتها واقتسامهم غنائمها وخيراتها

\*\*\*

## اسئلة

- ١ - كيف كان العرب في الجاهلية؟
- ٢ - ما تأثير الشعر عند العرب؟
- ٣ - كيف كان عصر الخلفاء الراشدين؟
- ٤ - صفات فتوحات العرب الاولى في العراق وفارس؟

\*\*\*

## الفصل العاشر

الفتح السوري - ٦٣٤ - ٦٦٠

معركة اليرموك ، مقتل عمر بن الخطاب ، الخوارج ،  
آخر الخلفاء الراشدين

### القادات الثلاثة

كان بين العرب والروم ثارات فقد سقط في معركة مؤتة لعهد النبي  
كثيرون من كبار رجالات المسلمين امام كتيبة من جند الروم وكان الجندي  
الذي اراد النبي ارساله قبل وفاته تحت قيادة اسامة بن زيد بن حارثة ثأر القتلى  
تلك الموقعة فلما تولى الخليفة ابو بكر الامر تقدم ثلاثة من قواد المسلمين  
ومعهم فصائل صغيرة من الجندي العربي الى سوريا وفلسطين وكانتا ثلاثة  
نفر عمرو بن العاص فاتح مصر ، وزيد بن ابي سفيان ، وشراحيل  
وتبعهم ابو عبيدة الجراح وكان لا يزيد عدد الفصائل العربية كلاها عن  
خمسة عشر الف عربي وذلك سنة ٦٣٣ مسيحية

تقدمت احدى هذه الفصائل نحو البحر الميت فتقدم نحوها سرجيوس  
قائد قيسارية يزيد ردها فردهه وهزمت رجاله وسقط هو قتيلاً بدوره  
وكان قائد هذه الفرقة زيد بن ابي سفيان وبسقوط سرجيوس اصبحت  
فلسطين تحت رحمة الفاتحين العرب

معركة اليرموك

وكان خالد بن الوليد قد بلغ سوريا فادماً من العراق فضم القواد بعضهم الى بعض وكان رجال الامبراطور قد جمعوا جيشاً وتقىدوا نحو اجنادين -- وهو مكان غير معروف اليوم - ولكن لا يبعد عن دمشق كثيراً فكانت المعركة فيه شديدة عظيمة هلك فيها كثير من الردم وردهم العرب على اعقابهم وهرب قاتلهم ثيودور الى جص وكان هرقل فيها فلما بلغه خبر هذا الانكسار ارتد الى انطاكية لتجنيد جيش جديد .

وكان الجيش الروماني الجديد، ثمانين ألفاً نصفه من الروم والنصف الآخر من الارمن ومسيخي العرب وكان خالد حين انته اخبار الاستعدادات التي يقوم بها مالك الروم قد ترجم عن بعض البلاد التي افتتحها ودمشق منها وكانت قد سقطت تحت شروط . ولم يلتقي الجيشان الا في ٢٣ تموز سنة ٦٣٦ مسيحية في معركة الجاوية وغيرها من المعارك البسيطة وذلك جنوبي دمشق ثم كانت معركة الياقوthe او (اليرموك) في ٢٠ اغسطس ٦٣٦ فدارت الدائرة فيها على الروم وكانت المزاعة هائلة والنصر عظيم اشتهرت فيه نساء العرب فكانت في مواطنها وراء الجيش من اكبر عوامل التحفيز والتشجيع

أخلى هرقل سوريا بعد المعركة واخذ العرب يستنزلون المدن السورية واحدة بعد اخرى فسقطت دمشق ثانية بيد القائد العام اي عبيدة الجراح وجاء الخبر بوفاة الخليفة اي بكر في معركة اليرموك

وخلافة عمر وصدور امره الى ابي عبيدة الجراح بقيادة العامة . وكان عمرو بن العاص يحاصر بيت المقدس فرفض اهلوها التسليم الا ان يكون الخليفة نفسه حاضراً و كان الامر كذلك فحضر امير المؤمنين عمر بن الخطاب وتسلم المدينة اما شراحيل ويزيد فاخذا باسقاط المدن الساحلية

طاعون عمواس

وليس اشد من السنة الثامنة عشر هجرية على المسلمين فقد فشا فيها الطاعون فقضى على كثير من رجال المسلمين وجنودهم بينهم ثلاثة من كبار القواد أبا عبيدة الجراح وشراحبيل ويزيد ابن أبي سفيان

## مقتل عمر بن الخطاب

قال احد الرواة من الاعراب شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فما  
معنى ان اكون في الصف الاول الا هيبيته فكنت في الصف الذي يليه فلما  
اقبل عمر لصلاة الصبح عرض له ابو لواده غلام المغيرة بن شعبه فطعنه  
ثلاث طعنات فسمعت عمر يقول «دونكم الرجل فقد قتلني»

عہان بن عفان

ولم يستخلف عمر أحداً وإنما عهد إلى النفر الذين توفي النبي وهو  
 واضحٌ عنهم أن يستخلفوا أحدهم فاتفقوا على عثمان بن عفان وكان رجلاً  
محبوباً من قريش جداً المسلمين في أيامه على ارزاقهم وتوسعوا  
فيهــا واقتربوا الدور وبنوا المساكن وكانوا في أيام عمر لا يفعلون ذلك  
احلاًــا له وتأســيا به

وتوفر المال في ایام عثمان حتى لقد بيعت الجاریة بوزنها وبيع الفرس  
بعشرة الاف دینار وبيع البعير بالف والنخلة بمثل ذلك ثم انكر الناس  
في المدينة والامصار على عثمان بن عفان اشياءً واموراً منها اختصاصه  
بني امية بالمحيرات والوظائف وغير ذلك فنقوموا عليه وحاصروه وقتلوه

### الفتنة في الاسلام

وتولى الخلافة بعده علي بن ابي طالب (٦٥٦) وبابيعه المسلمين في  
الامصار والمدن الا دمشق . وكان عاملها معاوية ابن عم عثمان قد اخذ  
يطالب بدمه ويحرض الناس على قتلته فاضطر ان يحاربه وكان بين  
الجيشين مناورات لم تأت بنتيجة قاطعة

### الخوارج ومقتل علي

وفي ایام علي خرجت طائفة من المسلمين سُمُّوا بالخوارج على علي  
ومعاوية وكان شعارها الحكم لله فقاتلهم علي وهزهم وظلت طائفة صغيرة  
تحارب خلفاء من بعده

وفي سنة تسع وثلاثين هجرية حج ناس من الخوارج فلما انقضى  
الموسم اقام نفر منهم في مكة وقالوا « كان هذا البيت معظمها  
في الجاهليّة جليل الشأن في الاسلام وقد انتهك هؤلا ، حرمتهم  
(علي ومعاوية) فلوا ان قوا ما شروا انفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين  
افسدا في الارض واستحلوا حرمة هذا البيت استراحت الامة . واختار  
الناس لهم اماماً » فقال عبد الرحمن بن ملجمة المرادي « انا اكفكم امر على »  
وقال الحجاج بن عبد الله « وانا اكفكم معاوية » وقال عمرو بن بكر « والله ما

عمر وبن العاص بدوئهم فان لهم فتعاقدوا على ذلك واتفقوا على يوم واحد يكون فيه وقوع القتل

وقدم عبدالرحمن بن ماجحة الكوفة وكم امره وتزوج امرأة يقال لها سطام بنت عقمة وكانت خارجية مثله فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه خرج من البيت وقدم لعلي حتى اتي لصلاة الصبح وذلك صباح كافون الاول (٦٦١) فوثب عليه وقال «احكم الله لا لك يا علي» وضربه على قرنه بالسيف فقال علي «فزت ورب الكعبة لا يفوتنكم الرجل» فشد الناس عليه فاخذوه ولم يتوافق رفيقاه في قتل معاوية وعمر وبن العاص وكان نصيب الثلاثة المتأصرين القتل

ولما قتل علي بن ابي طالب ثار الناس الى الحسين بن علي بالبيعة فلما بايده قال لهم تبايعوني على السمع والطاعة وتحاربون من حاربتو وتساولون من سالموا فرضوا بذلك وكاتب هو معاوية فخلابه واصطلاحا على ان تكون الخلافة للحسن بعد معاوية . فانتقدت بذلك اخلافة او الملاك من بني هاشم الى بني امية

\*\*\*

## اسئلة

- ١ - لماذا تقدم العرب الى سوريا ؟
- ٢ - ما تعرف عن معركة اليرموك ؟
- ٣ - كيف كان مقتل عمر بن الخطاب ؟
- ٤ - من هم الخوارج وما هي مبادئهم ؟
- ٥ - كيف انتقلت الخلافة الى بني امية ؟

## الفصل الحادي عشر

سوريا في عهد الامويين ٦٦٠ -- ٧٥٠

معاوية ودهائه ، بطانة معاوية ، تأثير السوريين في نجاحه  
الدولة الاموية ، دولة عربية لا سورية

معاوية بن ابي سفيان ٦٦٠ - ٦٨٠

استعمل امير المؤمنين عمر بن الخطاب معاوية بن ابي سفيان على  
سوريا خلفاً لشقيقه يزيد و كان معاوية ادھی بني امية واشدهم جرأة  
واكثرهم حزماً واعلمهم بشؤون الادارة والوان السياسة وقد ساعده الحظ  
فاز بالمن طريقه الكثرين من رجالات العرب فلما كان مقتول علي ابن  
ابي طالب تعلم فلام من ينazuه اخلاقه الا ابناء علي وهم ضعاف في  
الرجال والاموال وليس لديهم دها ، معاوية ولا حزم بن ابي سفيان  
و كانت بطانة معاوية من العرب السوريين من خلص القوم له  
واشدتهم رغبة في معاوزته ذلك لمحببها كانت تتنازعها من قبائل العراق  
ورغبة منها في استبقاء قاعدة المالك في الشام وفي ذلك نفع ظاهر وخير  
كبير . لا جرم ان معاوية قد استعان بالسوريين وانتهاد منهم ولكن  
القول ان دولةبني امية سورية وان للسوريين الفضل الاكبر في تأسيسها  
وامتداد نفوذها قول مردود لأن السوريين لم يكونوا قد افرج عن

روعهم من روعة الفتح ولم يكونوا قد ثابوا الى رشدهم من هول الانقلاب  
ولم يكن الخلفاء ليلقوا بين ايدي السوريين مفاتيح ملوكهم ولا يجعلوا  
لهم من الامر شيئاً فان كان ثم اصر استفاده الامويون من السوريين  
فهو في تجهيز بعض الجيوش وفي صناعة المراكب والابحار وأما الرأس  
المدبر فقد كان دافعاً عربياً مضررياً خذ مثلاً لذلك حكام المقاطعات  
الاسلامية ايام الامويين واستعرض اسماء قواد الجيوش في عهدهم تر  
انها كانت عربية مضرية لا سورية ارامية

## اصلاحات الامويين

لقد عمل الامويون كثيراً من الاصلاحات الادارية فعاوية أنشأ  
مصلحة الديوان لضبط الاموال وقيد المدخل والمصرف وكل القيام  
بهذا الامر الى ابن سرجون وهو سوري مسيحي ، ونظم البريد  
دائرة خاصة ، كان الخليفة يرسل بواسطتها اوامره الى عماليه في اطراف  
المملكة ؛ وكانت النقود المتداولة في سوريا رومانية فابدلها عبد الملك  
بن مروان بنقود اسلامية عربية ، وكان ديوان الخلفاء يكتب باللغة  
الرومية ، وهي كما قدمنا من اللغات الرسمية في الشرق القديم -  
حتى ابدلها عبد الملك بالعربية

## الصناعات

وكان الصناعات في عصر الامويين في ايدي السوريين من  
المسلمين والنصارى فقد كان العرب يأنفون من العمل ويعدونه حطة  
لهم ، ولا تزال توجد الى اليوم نماذج من الصناعة السورية في البناء

والزخرفة وذلك في مسجد بني امية في الشام و الجامع الاقصى في القدس

العلم

اما العلم والتعريب فقد زرعت بذوره في عهد الامويين فقط ولم يشر الا في العهد العباسي ، واما الشعر فقد كان قاتلواه من العرب وكان لهم مذهب جديد فيه غير مذهب الجاهليين ، فقد تركوا حoshi الكلام ورصفوا كلاتهم بضروب جديدة في الوصف والمدح لم تكن معروفة من قبل

العراق بين السريانية والعربية

اما العراث بين السريانية الارامية والعربة لغة الفاتحين فقد كان شديداً او كان بعض ابناء الساحل يتكلم اليونانية ، والظاهر ان سوريا باقيت سريانية بلغتها وديتها وقوميتها في كل العصر الراشدي ومعظم العصر الاموي وانها لم تستعرp الا تدريجياً في اواخر الدولة الاموية . بيدان غلبية العربية على السريانية لم تتم في وقت واحد في كل انحاء سوريا ، فقد يجوز القول ان فوز العربية على السريانية في المدن والسوائل ثم في خلال القرن العاشر والحادي عشر وفي الداخليات في القرن الثالث عشر واما في لبنان فقد تأخر حتى القرن السابع عشر و اوائل القرن الثامن عشر

اسئلة

- ١ - من هو معاوية بن أبي سفيان ؟
- ٢ - ما هي الاصدارات الاموية في سوريا ؟
- ٣ - تكلم عن الصناعة والعلم في عصر الامويين ؟
- ٤ = من كان النصر في العراق بين السريانية والعربية

## الفصل الثاني عشر

سوريا في عهد الامويين ٦٦٠ - ٧٥٠

الساحل في عهد الامويين - الامويون والمردة - مارك بنى أمية  
الحركة العباسية - الهيئة الاجتماعية

### الساحل في عهد الامويين

لما ظهرت جنود العرب بدمشق واستخلف ابو عبيدة الجراح يزيد بن ابي سفيان على دمشق سار هذا في جيش صغير من العرب سنة ٦٣٥ م الى الساحل السوري وعلي مقدمته اخوه معاوية فافتتح جبيل وصيدا وعرقة وبيروت، وجلأ كثير من اهلها - وكان من الروم على الارجح - الى بلاد الروم، ثم لما غاب الروم على هذه الساحل في اواخر خلافة عمر بن الخطاب وادل خلافة عثمان قصدتهم معاوية وردهم، ورمم المدن الساحلية وشحنتها بانقاتلة والجنود

### الامويون والمردة

والظاهر ان معاوية خشي على هذه الساحل من بأس الروم فاستدعي قوماً من الفرس يستوطنهَا وكانت فينيقية في أيام الخلفاء الامويين منوطبة بدمشق وبيروت عاصمتها، فلما اراد معاوية غزو جزيرة قبرص عمر اراكب في بيروت لهذه الغاية وجهز فيها الجيش لحادبة الروم، اما

لبنان فلم يتمكن العرب من التغلب على غير سفوحه القريبة من البحر لوعورة مسالكه ولتحصن اللبنانيون في مغاوره ولا سيما بعد ان اوفد اليه ملوك الروم قوماً من جندهم يعرفون بالمردة كانوا في جبال كيليكية وعددتهم اثنا عشر ألفاً من الجنود وكلوا اليهم امر الدفاع عن لبنان . وقد دوخ هؤلاء الساحل واتبعوا الامويين في اوائل حكمهم ولا سيما حين شغل عبد الملك بن مروان بحربه مع ابن الزبير فاضطر الى مصالحتهم ومصالحة ملك الروم وادى لهم بعض الاموال وذلك سنة ٧٠ هجرية وكان هذا لزمن قصير فلما تفرغ عبد الملك من حربه الداخلية عمد الى مناؤتهم وتمكن من اجلائهم بعد ان حارب الروم في ارضهم في اسيا الصغرى فارسل ملك الروم الى المردة ان يتركوا لبنان الى منازلهم الاولى وعمل الخليفة عبد الملك بعدها على تحصين السواحل بالمقاتلة ورمم المهدوم منها

وكانَ الدُّولَةُ الْأَمُوَيَّةُ تَحْسِنُ إِلَى رِعَايَاهَا وَتَجْدِيْنُ فِي تَأْلِيفِ قَلْوَبِهِمْ وَتَسَاهِلُ مَعَهُمْ فِي أَمْرَ دِينِهِمْ وَعَلَى الْأَخْصِ أَوْلَ حُكْمَهَا لِقَلْةِ الْعَرَبِ الْمُتَوَطِّنِينَ وَكَثْرَةِ الْوَطَنِيِّينَ مِنَ الْمُسِيَّحِيِّينَ وَالْمُوَالِيِّينَ

## ملوك بنى أمية

ملك معاوية عشرين سنة ، وهو اعظم رجل انجييه الامويون ، فهو مؤسس ملكتهم وموطن سلطتهم ؛ وكان كثير الحلم واسع الصدر ، فلما توفي تداول العرش الاموي بعده غير واحد من كبار الرجال امثال عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥) و وهشام بن عبد الملك (٧٤٣ - ٧٧٤)

وفي عهده تتمكن الفرنج من رد العرب في الاندلس عن التوغل في اوروبا في معركة بواتيه الشهيرة . وعمر بن عبد العزيز وهو اصلاح ملوكهم واعدتهم سيرة ، وبلفت الدولة الاموية اوج عزها في ايام الوليد الاول ( ٧٠٥ - ٧١٥ ) فقد بلغت حدود الدولة العربيه بلاد تركستان شرقاً واسيا الصغرى غرباً

#### الحركة العباسية

ودب الضعف في ملوك الامويين الاواخر فاغفلوا النظر في شؤون الاصلاح ومصالح الرعية واستبد بالشوفون نفر من الولاة تعاملوا عن الشر قبل وقوعه ، وكان العباسيون قد اخذوا اهتمام سرّاً للثورة ، وجمع ابو مسلم الخراساني حوله من والاه من سكان خراسان وغيرهم من العرب واخذ يناجز قلول الامويين في اطراف خراسان حتى غالب مروان الثاني اخر بني امية في معركة الزاب سنة ٧٥٠

واعمل العباسيون السيف في الباقين من بني امية فلم ينج منهم الا القليل اشهرهم الامير عبد الرحمن مؤسس الدولة الاموية في الاندلس

#### المهمة الاجتماعية

وكان الناس ايام بني امية طبقات ثلاثة اولها العرب ومنهم الزعماء والجنود و لهم الارزاق والفنانين يتقاضونها من بيت المال ، وكان عددهم لا يزيد عن مائتي الف نسمة بين اربعة ملايين من السوديين وثانيةها الذميون وهم غير المسلمين ولم يكن لهم حقوق سياسية ، ولكتهم كانوا يتعاطون التجارة والصرافة وبقية الصناعات

وَمُلْكُهَا الْعَبِيدُ وَهُمْ جَهُورٌ كَبِيرٌ كَانُوا يَزِيدُونَ بِتَوَالِي الْحَرُوبِ وَكَانُوا  
يَرْأُولُونَ الْفَلَاحَةَ وَالصَّنَاعَةَ حِسَابًا مَوَالِيهِمْ  
وَكَانَ الْذَّمِيُّونَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَّةٍ أَيَامَ بْنِي اُمَّيَّةَ جَمَعُوا الْثَروَاتَ الْكَبِيرَةَ  
وَعَاشُوا آمِنِينَ مُطْمَئِنِينَ عَلَى أَرْوَاهِهِمْ وَمُتَاجِرِهِمْ

#### الحالة الاقتصادية - الحركة الفكرية

اَمَا الزَّرَاعَةَ فَكَانَتْ زَاهِرَةً فِي هَذَا الْعَهْدِ<sup>٢</sup> وَكَانَ النَّاسُ يَنْصَرِفُونَ  
إِلَى زَرَاعَتِهِمْ وَارْاضِيهِمْ يَسْتَهْمِرُونَ بِهَا يَجِدُونَهَا يَجِدُونَهَا يَجِدُونَهَا يَجِدُونَهَا  
مُحْصَوْلَاتِهَا إِلَى اسْيَا الصَّغِيرِ بِطَرِيقِ حَلْبٍ  
اَمَا الْحَرْكَةُ الْفَكِيرِيَّةُ الْادِبِيَّةُ فَكَانَتْ ضَعِيفَةً تَكَادُ لَا تَتَلَمَسُهَا إِلَّا  
فِي الشِّعْرِ وَالْمُهَمَّ شُعْرَاءُ الْعَرَبِ فِي عَهْدِ الْأَمْوَالِيِّينَ : جَرِيدٌ<sup>٣</sup> وَالْفَرِزْدَقٌ<sup>٤</sup>  
وَالْأَخْطَلُ

\*\*\*

#### اسئلة

- ١ - من هم المردة؟
- ٢ - اذكر ما تعرفه عن ملوك بنى امية؟
- ٣ - لماذا دب الوهن الى الدولة الاموية؟
- ٤ - تكلم عن الهيئة الاجتماعية والحالة الاقتصادية والفكرية عهد الامويين؟

## الفصل الثالث عشر

سوريا في عهد العباسيين (٧٥٠ - ٩٧٧)

حوادث لبنان ، الحضارة الاسلامية ، الصناعة في سوريا

### ال Abbasians في سوريا

ولما انهارت الدولة الاموية رانتقلت العاصمة من الشام الى بغداد ،  
وقام العباسيون بالامر بعدها اصبح العراق مركز الدائرة وقطب  
الحركة العربية الاسلامية

### اهمية سوريا

ولقد ادرك العباسيون ما لشغور الشام من الاهمية والشأن فامر وا  
بتتحصينها . و اول من قام بذلك ابو جعفر المنصور واتم العمل بعده  
المهدي . قال معاوية بن عمرو عن هارون الرشيد وخلفائه « وقد رأينا  
من اجتهاد امير المؤمنين هارون الرشيد في الغزو ونفذ بصيرته في الجهاد  
امر اعظمياً اقام من الصناعة ما لم يقم قبله وقسم الاموال في الشغور  
والسواحل واسجى الروم وقعهم ، وامر المتوكل على الله بترتيب المراكب  
في جحيم السواحل وان تشحن بالمقاتلة وذلك في سنة ٨٦١ م

### حوادث لبنان

وما توسل به ابو جعفر المنصور لثبت ملكه ولتحصين ثغور الشام

انه ارسل قبيلة من المسلمين لتخلف المردة باحتلال الجبل، وهي ارومة التنجييين الذين قدموا الى ضواحي بيروت واحتلوا اواسط لبنان واقاموا بها منذ بدء استيلائهم

ومما لا خلاف فيه ان التنجييين نزلوا غربى لبنان ٧٣٦ م والغاية من نزولهم صد الروم والوقوف بوجه اهالى الجبل ان رغبوا في الثورة والخروج على الخليفة، وقد تزلا الامير ارسلان احد رؤسائهم محلة رأس البدر وقطن الباقيون جهات بيروت وصيدا وهذه هي القبيلة الاولى من العرب تدخل لبنان؛ اما الموارنة فقد ظلوا في شمالي الجبل يبدرون اموارهم بانفسهم ويدفعون الجزية على ايدي رؤسائهم مخالدين الطاعة والانقياد واخبار لبنان وفيئيقية تردة قليلة في عهد العباسين فقد كانت المدن الساحلية تستوقف الانظار دون غيرها في ذلك العهد

## سوريا والعباسيون

ولم يسكن السوريون الى العباسين وحكومتهم؛ فقد تاروا غير مرأة عليهم، ولكن مساعدتهم اخفقت لاختلافهم وتفرق شيعهم، وكثيراً ما كانوا يحملون العلم الابيض شعار الامويين لأن الاسود كان شعار العباسين وينصبون عليهم احد الامويين، بيد انهم كانوا قليلي الحظ في ثوراتهم هذه، فكان يرسل العباسيون جندهم عليهم يمزقون شملهم ويقضون على ثورتهم

## الحضارة الاسلامية في هذا العهد

اما الحضارة الاسلامية فقد بلغت مرحلة اسماها في عهد العباسين

و كانت بغداد كعبة العلم يقصدها الطالب والشاعر والكتاب من كل حدب و صوب وقد كثرت الترجمة عن اللاتينية، و اشتغل الكثيرون بالعلوم الفلسفية، و اشتهر جماعة بالادب والشعر و من شعراء العصر العباسي ابو الطيب المتنبي و مروان ابن ابي حفصة وبشار بن برد و ابو تمام و ابو العلاء المعربي، و من كتابه ابن المقفع و الجاحظ، و سهل بن هارون، و من فلاسفته ابن سينا وغيره

#### الصناعة والتجارة في سوريا

اما سوريا فقد امست ولاية من الولايات فكان السبق للعراق في الادب والعلم، واستبقة لنفسها التجارة والصناعة فكانوا يصنعون الاقمشة الشميّة والزجاج في حلب و دمشق و صور و يصدرونها، و اشتهرت دمشق خصوصاً بصناعة الفولاذ و بمحصولات ارضها، من سكر و لوز وزعفران

و ظلت سوريا ملتقى الطرق التجارية العالمية فكانت القوافل تقصدها من فرنسا و اسبانيا قسماً افريقياً و منها تذهب الى بغداد و بلاد فارس و الهند

#### أسئلة

- ١ - هل كان سوريا اهمية سياسية في ايام العباسين؟
- ٢ - ماذا تعرف عن السواحل في عهد العباسين؟
- ٣ - من هم التنوخيون؟
- ٤ - ما الذي تعرفه عن الحضارة الاسلامية في هذا العهد؟
- ٥ - تكلم عن الصناعة والتجارة السورية؟

## الفصل الرابع عشر

### تداول الدول والملالك

سوريا في عهد الطولونين والاخشidiين والفاطميين والسلجوقيين

١٠٩٨ - ٩٧٧

### الدولة الطولونية

لما ضعفت الدولة العباسية كانت السواحل من نصيب الدول التي قوّلت الامر بعدها وكانت الدولة الطولونية المنسوبة الى (طولون التركي) اول الدول التي انتزعها سوريا وتواطعها من ايدي الخلفاء العباسيين . كان طولون التركي احد موالي الخليفة المأمون وكان ذا حظوة لدىه ، وخلفه ابنه احمد في حظوظه لدى الخلفاء فتولى مصر سنة ٨٦٨ وعز فيها ثم استقل بالسلطنة وخافه الخليفة فقتلده الشام ايضاً اكتفا ، شره ، وورثها عنه ابناؤه من بعده حتى انقرضوا سنة (٩٠٥) م

### توالي الدول على سوريا

فعاد الخلفاء العباسيون وارسلوا الى الشام عملاً يقومون بتدبيرها فلم يتعلّم مذتهم اكثير من ثلاثة سنّة اذ قام وال اخر من ولاة دمشق يدعى محمد بن طفيح الاخشidi ، فانشأ الدولة الاخشidiة في دمشق سنّة ٩٣٥

ملكت الى سنة (٩٦٩) فخلفتها بالشام الدولة الفاطمية حتى ایام  
الصلبيين.

### الفاطميون في سوريا

والفاطميون ينتسبون الى السيدة فاطمة بنت النبي عليه السلام .  
ظهروا اولاً في تونس ثم امتدت دولتهم الى مصر فاخضوها ودخلوا  
بعدها سوريا فلم تستقر سلطتهم عليها تماماً ولم يدخل في طاعتهم غير  
سكان المدن

وهي اواخر الدولة الفاطمية ظهرت في سوريا الدولة السلجوقيه المعروفة  
الي سلحوقي بن تقاق من امراء الترك فاستولى احد اولاده طغروف على  
خراسان سنة (١٠٤٠) ورث على بغداد وسارعنها الى الموصل ففتحها  
ومات بلاعقب . فافتتحت السلطة بعده الى اب ارسلان بن داود اخيه وهو  
الذي اسر رومانوس الرابع ملك الروم في وقعة الكبادوك . وسنة (١٠٧٠)  
سار اب ارسلان الى حلب وافتتحها وافتتح احد امرائه الرملة وبيت  
القدس وحاصر دمشق فاعتاصت عليه وقتل اب ارسلان (١٠٧٣ م)  
وخلقه ابنه ملكشاه وبعد ثلاث سنوات دخلت دمشق في حوزة السلاجوقين  
واغتنم ملك مصر الفاطمي حدوث بعض الاختلافات بين الامراء  
السلجوقيين فساق بعثاً على سوريا واستولى على صور وصيدا وعكا  
وجبيل فصارت الشواطئ السورية الى ايدي الفاطميين .

ولما توفي السلطان ملكشاه سنة (١٠٩٣) تنازع السلاجوقيون بعده  
السلطة وقامت حروب شديدة بين الاحزاب المختلفة فاسرع عوامل

التجزئة في الدولة السلجوقية في سوريا وظلت سواحل فلسطين وسوريا تحت سلطة الفاطميين وانقسم باقي الجهات الى عدة اعمال مستقلة . وفي هذه الاثناء قدم الصليبيون الى البلاد

ومما يذكر في هذه المناسبة ان النصيرية وهم شيعة افترقت عن بقية الشيع الاسماعيلية العلوية سكنت شمالي لبنان اثنا، حكم الفاطميين وكذلك الدروز فقد نشأت شيعتهم في هذه الاثناء ايضاً . واول ما ظهرت في وادي التيم من اعمال سوريا ثم امتدت الى الشوف وهي فيها قوية حتى اليوم

سوريا والسواحل في هذا العهد

قال ابن حوقل وهو من جغرافيي العرب في كتابه المسالك والممالك يصف سوريا وبيروت في هذا العهد :

«بيروت على ساحل الروم . وبها رباط اهل دمشق وساز جندها واليها ينفرون عند استفارهم ، وليسوا كأهل دمشق في جفا ، الاخلاق وغلظة الطباع ، وهي ذات خليل وقصب سكر وغلالات متوفرة وتجارات البحر عليها دائرة ؛ وسبلتها غير منقطعة ، حصينة خصبة متينة السور رخيصة الاسعار جيدة الاهل مع منعة فيهم من عدوهم وصلاح في عامة امورهم .»

ووصف ايضاً طرابلس فقال انها فرضة دمشق وانها وافرة الغلات يقيم فيها جند الشام ومنها يخرجون لغزو الروم

وفي سنة ٤٣٨ هجرية تجول في سواحل الشام رحالة فارسي يدعى

(نصرى خسر و) فوصف مدن فينيقية وصفاً جيلاً فقد من اولاً بطرابلس  
قادماً اليها من حلب فوصف حدائقها الغنا، ومزارعها من قصب السكر  
والموز والنخل والنارنج ووصف اسوارها المبنية، واسواقها النظيفة  
ودورها من اربعة طوابق الى ستة؛ وكان اهلها حينئذ على مذهب الشيعة  
ولا يزيدون عن عشرين الفاً وكان فيها معمل لورق الكتابة وكانت طرابلس  
في ذاك الوقت في حوزة ملوك مصر الفاطميين وقد اعفوها من الضرائب  
لامانة اهلها معهم في حروبهم مع الروم

ثم صر بالبترؤن وجبيل فقال عن الاخرية انها مثلثة الزوايا قاعدها  
شاطيء البحر وانها محصنة باسوار عالية غاية في المثانة يحدها النخيل  
وكتير من الاشجار

وقد اشار في طريقه بين بيروت وجبيل الى قناطر واعمددة عظيمة  
لاشك انها من بناء الرومان درست وذهبت اثارها، ولما وصل خسر و  
الى صيدا اعجبه مثانة اسوارها، وكلها من الحجر المنحوت ولها ثلاثة  
ابواب ووصف حدائقها باملال، ثم تخطى الى ذكر صور وبنائها العجيب  
على صخر ممتد في البحر واسوارها المحدقة بها ومعظمها في البحر وكانت  
تاتيها الماء بقناطر من الجبل

### اسئلة

- ١ = كيف قامت الدولة الطرولونية ؟
- ٢ = ما تعرف عن تداول الدول في سوريا ؟
- ٣ = من هم السلاجوقيون ؟
- ٤ = تكلم عن الحالة في سوريا والسوائل في هذا العهد ؟

## الفصل الخامس عشر

سوريا الافرنجية - ١٠٩٨ - ١١٤٤

المعاهدات الاولى - فتح اورشليم - المملكة اللاتينية

الافرنج في سوريا

بدأ الافرنج منذ القرن الرابع بعد المسيح بالنزول إلى سوريا، فكانوا يزورون فلسطين ودمشق ولبنان عهد الرومان؛ فلما انقضى ذلك العهد وتقلب العرب على البلاد خفت حركة الزيارة، لما واجه المسيحيون الافرنج من خوف إذا هم زلوا الأراضي المقدسة دون اتفاق سابق مع السلطات العربية فيها.

المعاهدات الاولى

ذلك هو السبب الأول الذي دعا إلى عقد المعاهدات في القرن التاسع بين الخليفة العباسيين وملوك الفرنجة، وقد رغب الخليفة هارون الرشيد في حالفته شارلمان، إذ بلغه أنه يحارب الأمويين في الاندلس، وإن بيته وبين ملك الروم منافسة وعداوة وكان ذلك رغبة منه في الاستفادة من هذا التنازع بين أمير الفرنجة، ولما استلم شارلمان مفاتيح كنيسة القبر المقدس من البطريرك الأورشليمي عمل على استحصل على حماية على الأماكن المقدسة وأجراء مسيحيي الشرق، فزادت بعد ذلك وفود الزائرين للمجاج، وانشئت المؤسسات اللاتينية في اورشليم لمساعدة الزوار.

وليسigi الشرق، وعيت لها الاوقاف  
فليا تولى الخلافة الحكم باصر الله الفاطمي (٩٩٦ - ١٠٢٠) هدم  
كنيسة القبر المقدس وضيق على المسيحيين واضطهدتهم اضطهاداً شديداً  
فاستنصروا البابا في رومية وهذا استصرخ ملوك اوروبه وقاده فرسانها  
فلباء منهم عدد غير زحفوا على الشرق بطريق القسطنطينية

## فتح اورشليم

ولقد انتصر الصليبيون في حملتهم الاولى انتصاراً باهراً مكناهم  
من الاستيلاء على البلاد او لها فتح انطاكية في ٣ حزيران سنة ١٠٩٨  
بعد حصار دام ثانية اشهر، وثانية لها فتح بيت المقدس في ١٥ تموز  
سنة ١٠٩٩

ودخل (غدوري دي بوليون) زعيم الصليبيين القدس الشريف وزار  
قبر السيد المسيح حافياً واقب نفسه بلقب (بارون القبر المقدس)

## المملكة اللاتينية

وبعد فتح اورشليم سقطت عسقلان ثم مدن الساحل كلها كمئاً  
وطرابلس وبيروت وصور وصيدا (١١٠٠ - ١١٢٤) ور حف الافرنج  
مرتين على دمشق فامتنعت عليهم حصانة اسوارها فهادنوها على ان توادي  
لهم الجزية

وبلغت المملكة اللاتينية غاية امتدادها نحو سنة ١١٤٤ فكانت  
مؤلفة من اربع اقطاعات واسعة او امارات خاضعة للملك بوجب عهد  
بينه وبين اصحابها وهي

١ - امارة الرها شرقاً - كانت تتد على شاطي الفرات  
 ٢ - امارة انطاكية شمالاً - وكانت تبسط حميتها على كل سكيا  
 ٣ - امارة طرابلس من قلعة المرقب الى نهر الكلب  
 ٤ - مملكة اورشليم وكانت تشمل فلسطين كلها  
 ولم يملك الصليبيون المدن الداخلية الكبرى كحل وحمة وحص  
 وبعلبك ودمشق فاكتفوا بالجزء يأخذونها  
 وابتني الصليبيون قلاعاً حصينة في الجبال وعلى سواحل البحر ،  
 وفي الداخلية حماية للبلاد من غارات المسلمين وتأميناً للطرق ، منها  
 حصن الاكراد وبرج صافيتا ومرقب وعرقة وقلعة الشقيف في جنوبى  
 لبنان

\*\*\*

### اسئلة

- ١ = كيف بدأ الافرنج بالتوغل لسوريا ؟
- ٢ = ما تعرف عن المعاهدات الاولى ؟
- ٣ = ما اسباب الحروب الصليبية ؟
- ٤ = اذكر انتصارات الصليبيين الاولى وتأثيرها
- ٥ = صف المملكة الاسلامية في سوريا

\*\*\*

## الفصل السادس عشر

الخطاط الملكة الافرنجية في سوريا

١٢٩١ - ١١٤٤

الخطاط الملكة ، صلاح الدين الايوبي ، معركة حطين ، الافرنج في سوريا

الخطاط الملكة

ولقد ظهر الانحطاط في مملكة الفرنج بسرعة؛ بسبب ذلك ابتعادهم عن بلادهم ووجودهم في اقطاعهم اغراهم عنها واهلها اعدا لهم، وعدم اتحاد كلّتهم فاغتنم الفرصة بعض امراء المسلمين المستقلين كالامير زنكي امير الموصل؛ وهاجم مدينة الرها فافتتحها (١١٤٤)، فتحرّكت لهذا الخبر الحملة الصليبية الثانية ولكنّها لم تأتي بعمل يذكر

الدولة الفاطمية وصلاح الدين

وكانَت الدولة الفاطمية في هذا العهد آخذة بالانحطاط والتلاشي فطمع فيها نور الدين سلطان دمشق، واوْفَد الى القاهرة شير كوه الكردي فاستوزره الفاطميون واستبد بالاحكام دونهم، وتتصدر الوزارة بعده ابن أخيه صلاح الدين الايوبي، وصار الامر اليه بعد وفاة اخر الفاطميين (١١٧١) فانشأ الدولة الايوبيّة، ولما توفي السلطان نور الدين صاحب دمشق خُم صلاح الدين دمشق اليه وسار لمحاربة الصليبيين فكسرهم كسرة شنيعة في معركة (حطين) بين الناصرة وطبرية في ٤ تموز سنة (١١٨٧)

ثم ضرب الحصار على اورشليم ففتحها صلحًا في ٢ تشرين الاول سنة ١١٨٧، ثم استولى على سائر المدن الفلسطينية السورية ولم يتنعم عليه الا انطاكية وطرابلس وصودر

### انتهاء الدولة الافرنجية

جند الصليبيون حملة ثالثة، قال نزاعهم دون نجاحهم، وحالفوا المغول فلم تجدهم هذه الحالفات نفعاً، فقد جمل الملك الظاهر بيبرس<sup>(١)</sup> في وقعة عين جالوت في صرخ بني عامر قرب بيسان ايلول (١٢٦٠) على الحلفاء فسحقهم

وقام ابنه قلاون<sup>(٢)</sup> فوقع المغول في سهل حمص وكان قد انضم اليهم ثلاثة ألفاً من الفرنج والارمن وهزمهم بمساعدة العرب وخلفه ابنه الاشرف<sup>(٣)</sup> بعده فضرب الحصار على عكا في ١٢ نisan (١٢٩١) فاستبسّل الصليبيون في الدفاع عنها ولكنها افتتحت عنوة واستولى الملك الاشرف بعد ذلك على سائر المدن التي كانت في يد الفرنج اي صور وحيفا وصيدا وبيروت وطرطوس وغيرها فخررت سوريا كلياً داخلها وساحتها من يد الصليبيين فكانت مدة احتلالهم للبلاد من حين فتحهم انطاكية سنة ١٠٩٨ حتى خروجهم من عكا سنة ١٢٩١ مئة وثلاثة وتسعين سنة

(١) الملك الظاهر بيبرس من اشهر ملوك الماليك الذين ظهروا في مصر وسيأتي

خبرهم في الفصل القادم وقد حكم من ١٢٦٠-١٢٧٧.

(٢) ١٢٧٨-١٢٩٠. (٣) ١٢٩٣-١٢٩٠.

## سوريا في عهد الافرنج

كانت مملكة الافرنج مؤلفة من اقطاعات مقيدة فيها سيادة الملك بسلطة طبقات الامة الثلاث : الاكليروس والاشراف والاعيان . وكان من نتائج الحملات الصليبية ان تعرف الشرق على عوائد الغرب ؛ والغرب على عوائد الشرق وزادت التجارة بين مدن الغرب مثل بيزه وجنوى ، والبندقية ، ومرسيليا ، ومدن سوريا كحلب ودمشق ، والمدن الساحلية وكان التجار الاوربيون يومون هذه البلاد طالبين الآنية الخزفية الشمينة والزجاج المتقن الصنعة ، والمعطور ، وسكر القصب ، وكثير البناء والمعاد في سوريا ، واخذ الافرنج يقلدون العرب في بنائهم <sup>(١)</sup> وملابسهم وعاداتهم

• • •

## اسئلة

- ١ - عدد الاسباب التي دعت الى الخطاط المسماة الصليبية ؟
- ٢ - اذكر ما تعرفه عن الدولة الفاطمية وصلاح الدين الايوبي ؟
- ٣ - اذكر حملات الصليبيين الاخيرة على الملوك المسلمين ؟
- ٤ - ما تعرف عن سوريا في عهد الافرنج ؟

(١) وقد ضرب الامراء الافرنج الذين حكموا سواحل لبنان في هذا العهد النقود باسمهم ، وكانت الكتابة عليها غالباً باللاتينية وبها ما هو بالفرنسية والعربية ضربها امراً عكا وصور وبيروت وطرابلس بالحرف الكوفي على، مثل النقود الاسلامية مع رموز نصرانية وأيات كتابية

## الفصل السابع عشر

سورية في عهد الماليك  
( ١٢٥٢ - ١٢٥٦ )

اصل الماليك ، الفرنجية والسوائل ، تحصين السواحل

### اصل الماليك

ولما اضطهنت سلطة الصليبيين في المشرق صار لبنان وسواحله الى حكم دولة الماليك المصريين المتولين على الشام وهو لا الماليك خافوا الدولة الايوبية وانادعوا بالماليك لأنهم كانوا في الاصل من رقيق الجركس والتر كان باعهم النخاسون في مصر فذلوا في خدمة ملوكها ثم ثما عددهم وزاد نفوذهم حتى صار الامر الى يدهم وتولوا السلطة على مصر والشام بعد الايوبيين خلفاء العباسيين عليها

### الفرنجية والسوائل

وكان اول ما سعى اليه هو لا الملوک اخراج الصليبيين من المدن الساحلية ، ولما تم لهم ذلك عملوا على تحصين سواحل الشام مخافة ان يعودوا الى مهاجتها كما فعلوا من قبل لا سيما وانهم كانوا لم ييرعوا جزيرة قبرس ورودن يرقبون منها عن كثب سواحل الشام ، وكانت سفنهم كثيراً ما ترد السواحل مشحونة بالمقاتله فتردها الحاميات على اعقابها .

وفي سنة ١٣٠٤ توجه اسطول من مراكبهم الى صيدا فأخذوها وقتلو جماعة من اهلها واسروا اخري ونهبو شيئاً كثيراً. وفي هذا الوقت ايضاً استولى بعض الفدائين الميكليين على جزيرة ارواد فلكلوها مدة ثم اضطروا الى تسليمها

وعادت سفن الافرنج الجنوية سنة ١٣٣٨ فنزلوا بابور وتاخذوا الاعلام السلطانية وقتلو جماعة من المسلمين ثم حضروا ايضاً سنة (١٣٨٨) فأخذوا صيدا وهم بفتح بيروت فلم يفلحوا فعادوا ادراجهم الى قبرس، وبعد ايام رجعوا الى بيروت فحاربو اهليها وزلوا ينهبونها ولكن المسلمين تضافروا عليهم وأجاوهم

### تحصين السواحل

في هذه الحالات كأيام أذيرت الملوك مصر ونوابهم في الشام حاجتهم الى تحصين السواحل وحراستها من الاعداء. فرموا الاسوار واقاموا الاستحكامات عليها ففكك الافرنج عن غزوتهم بل اخذت الدول الاوروبية تسعى في عقد معاهدات تجارية مع الشرق لاسيما مصر وسواحل الشام بعد ما اختبروا اغنى البلاد ب Prosperity الخيرات واصناف المتاجر ولنعلى ذلك شواهد في الكتابات الرسمية والمعهود الدولية التي نشرت في الازمنة الاخيرة وخصوصاً بين شلاطين الماليك وحكام البندقية وجنوبي واهل بيروت وتجار قبرس ومرسيليا وترويجاً لهذه المعاملات التجارية اقيمت منذ ذلك العهد القنصليات، وقد سبقت البندقية جميع الدول في ذلك فكان لها منذ ايام الصليبيين بوجب معاهدة تاريخها ١١٢٣ قناصل في صور

وجبيل وانطاكية وكان لقنصل مجلس شوري من اهل ملته، وقد ثبت  
هؤلاء القناصل في مهمتهم بعد الصليبيين، وتلوا انعامات خاصة من امراء  
البلاد فابتدا لهم فنادق وتعاملوا مع الوطنين بنقودهم فراجت كثيرة  
وسرت بها الناس

لبنان واخباره

وليس للبنان وسواحله ما يستحق الذكر في زمن المماليك المصريين  
 الا انهم جملوا لهم نواباً في المدن الساحلية كعكا وصيد وطرابلس وكان  
 صر جعهم الى نائب دمشق الذي كان في يده الحل والعقد وفي هذا العهد  
 صارت الشهرة لبعض الاسر من الامراء وقد سبق ذكر المعينين منهم  
 والشهابيين وعرف اذ ذاك آل عساف وهم من التركان

اما التنجييون فانهم ما فتو ابعد الصليبيين في ترق ونجاح وجعلت بيروت  
 في عهدهم للمدافة عنهم حتى ساحل الدامور، وقد بلغ آل تنوخ في هذا  
 العيد او ج عزهم ونبغ فيهم كثير من رجال السيف، وقد ثبتو في امارتهم  
 على لبنان الغربي الى ما بعد الفتح التركي العثماني فكسفت شمس الامارة  
 التنجوية، وسطع نجم المعينين بعد خوب لهم  
نظام سوريا في عهد المماليك

| ولقد قسم المماليك سوريا الى ست ولايات دعوا لها نيايات وهي دمشق  
 وحاب وحمادة وطرابلس وصفد والكرك، واقاموا علىها نواباً من طرفهم .

لبنان ونظامه

| اما لبنان فكان نظامه خاصاً به، فكان الدروز يسكنون اواسطه

إلى المقاطعات الجنوبية وسكن الموارنة يسكنون جهة جبيل حتى  
الارز، وعلى شاهم التصيرية من العلوين

حملة كسروان

وكان أهل الشيعة من نصيريّة ومتاؤلة ودروز في نزاع متواصل  
يحاربون المسلمين السنّيين، فسير الماليك عليهم الحملة الكسروانية  
(١٤٠٥) فزحف نواب دمشق وطرابلس وصفد بخمسين الف جندي  
فأتلقو الكروم وخربوا المساكن وقتلوا أكثر العصاة؛ وحل المسيحيون  
بحلهم فكان لهم التفوق في جهات كسروان

...

### اسئلة

- ١ - ما اصل الماليك؟
- ٢ - ما كان مصير السواحل بعد خروج الصليبيين؟
- ٣ - اذكر تأثير تحصين السواحل على الافرنج؟
- ٤ - ما اخبار لبنان في هذا العهد؟
- ٥ - كيف كان نظام سوريا ولبنان في عهد الماليك؟
- ٦ - اذكر ما تعرفه عن حملة كسروان؟

\*\*\*

## الفصل الثامن عشر

سوريا في عهد المماليك

١٥١٦ - ١٢٥٢

المماليك في الداخلية ، الامير تنكizer ، تيمورلنك في سوريا  
العصر الادبي الذهبي

### المماليك في الداخلية

كان حكم المماليك في سوريا شديداً قاسياً ملوكاً بالفوضى والاضطرابات  
فقد كان يحدث احياناً ان يتناوب كرسي الملك اربعين او خمسة من  
الملوك في سنة واحدة ، وليس ابعث على الفساد من مثل هذا الحال في  
بلاط تملكه الترف ودب اليه الفساد والشقاق ، وكانت سوريا بجزءاً ببعضها  
على بعض الى امارات صغيرة ؛ وكان ثائب ملك مصر يقيم في دمشق  
ويسمى النائب وكان ملوك مصر يخشون ان تحدث النواب نفوسهم  
بالشورة فكانوا لا يتركونهم في امارتهم الا زماناً قصيراً ، وقد غالى  
بعضهم فأخذ يعين النائب لشهر واحد فقط

الامير تنكizer

وكان الامير تنكizer اطولهم عهداً وأشهرهم حكم ( ١٣٤٠ - ١٣٦٢ )  
عمل على احياء الزراعة وتعزيز الاعمال الاصلاحية ، وكانت له ایاد  
بيضاً على البلاد فزاد في عمارتها وتحصينها وتنعم السوريون في أيامه بوفر العيش

وانصرفو الى تجارتهم وشوفنهم غير انه عزل واعتقل في سجن الاسكندرية  
لسبب ظلّ مجهولاً

وتتابع بعده على نيابة الشام اشخاص اعمتهم المطامع فعملوا على ما  
فيه من فساد وربحهم ، فعمت البلاد بالفوضى ورأى قازان<sup>(١)</sup> ان الفرصة  
سانحة فتقدم الى سوريا (١٢٩٩) ونزل بماليك على مقربة من حصن خسارة  
عظيمة وردهم على اعقابهم ودخل دمشق ظافراً فاتحاً ولكنّه اضطر  
للرجوع الى بلاد فارس حالاً لما اشتعلت الثورة فيها ، فاغتنم الماليك  
الفرصة واستعادوا سوريا ، وتذكر الملك الناصر سنة ١٣٠٣ من ردّ قازان  
على اعقابه لاماهم بالعودة الى سوريا ثانية في معركة (مرج صفر)

وفي سنة (١٤٠١) تقدم تيمورلنك الطاغية التترى المشهور الى سوريا  
فافتتح حلب وترك حمص دون ان يمسها بسو احتراماً خالد بن الوليد  
قائد العرب الاكبر ، ولما وصل الى ضاحية الشام ارسل اهلها منهم  
من يقاومه في الصلاح فرضى بذلك وقضى لنفسه غرامه قدرها مليون  
دينار ، ولكنّه لما دخل المدينة حنث بالوعد واخذ يحتمم ما تصل اليه  
يده من المال ، ثم حمل الصناعين والنقاشين وارباب الحرف المشهورين  
من السوريين الى عاصمتهم سمرقند فاضعف بعمله هذا الصناعة السورية

(١) كان المغول من الداعميين الماليك في سوريا لثارات ومعارك بين الفريقين ،  
فلا فسد حكم الماليك في سوريا اغتنم قازان أحد ملوك المغول هذه الفرصة لافتتاح  
البلاد ، وضرب الماليك ضربة قاضية .

وافقرها ، وكانت حملته هذه ضربة قاضية على الصناعات والفتون في سوريا

### العصر الادبي الذهبي

وان من اغرب مظاهر الحياة في هذا الزمن المضطرب بشؤونه السياسية وحوادثه الخربية رواج صناعة الادب والعلم ولعل سبب ذلك نزوح رجال العلم الى سوريا ومصر بعد سقوط بغداد واشتهر في هذا العصر الكثيرون من اصحاب التأييدات والمجموعات والتواريخ العامة ، امثال ابي الفداء سلطان حماده وصاحب كتاب التاريخ الشهور باسمه (توفي سنة ١٣٣١) وابن ابي اصبعه الذي جمع تاريخ الاطباء ، وابن نباته (توفي ١٣٦٦) والعمري صاحب الجاميع توفي سنة (١٣٤٨) . والدمشقي الجغرافي ، وصالح بن يحيى التنوخي مؤلف تاريخ بيروت

اما الشعر فلم ينفع فيه من يستحق الذكر وكانت اللغة العربية تنازع السريانية نزاعاً شديداً حتى تغلبت عليها واقتلت بها من البلاد

...

### اسئلة

- ١ - كيف كان حكم الملك في الداخلية؟
- ٢ - ما تعرف عن الامير تنكيز؟
- ٣ - ما تعرف عن تيمورلنك واعماله في سوريا؟
- ٤ - لماذا ازهر العلم والادب في هذه الاثناء؟

# القسم الثالث

سوريا بعد الفتح العثماني

## الفصل التاسع عشر

سوريا في عهد العثمانيين

١٩١٨ - ١٥١٦

الترك في سوريا ، السلطان سليم ولبنان ، تنظيم سوريا ، ثورة الغزالي

الترك في سوريا

ليس ينطوي ، الناظر الحدس ، وهو ينظر الى تقدم الدولة التركية وتبسيطها في السلطان ، ومنعتها قوة وجندًا ان يقول بانها غالبة سوريا على امرها ، فقد كانت سوريا منذ اول عهدها بالحضارة طعمها سائفة لكل دولة قوية تقوم بجوارها في الشرق القديم . ولما فتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية سنة ١٤٣٥ - ادرك مالسوريا من الاهمية فهم بفتحها لو لا ان عاجلته المنية فأتم الامر بعده السلطان سليم الاول ، بعد ان توسم في هذه البلاد الانقسام والقي اليه منزل باسر اتها من الوهن والضعف فتقدم الى سوريا ودخلها من جهة عيتاب واستظهر سنة ١٥١٦ في وقعة مرج

دابق شمالي حلب على الغوري ملك مصر وقتلها ، ودخل على اثر الموقعة  
حلب وجاهة وحص منتصرًا فاتحاً ونزل دمشق ظافرًا في السنة نفسها ايضاً .

السلطان سليم ولبنان

ولم يدخل السلطان سليم لبنان ولم يرهقه من امره عسرًا بل كتب  
إلى أمراء أنه يؤمهم ويدعوهم إليه وكانوا قد توافدوا عليه في دمشق يعرضون  
خضوعهم وطاعتهم  
وقد روى الدويهي أن الأمراء الذين وفدوا على السلطان سليم ومثلوا  
بين يديه هم الأمير قرقاز المعنى والأمير جمال الدين اليمني والأمير عساف  
التركماني وغيرهم

اما أمراء الغرب التنجييون فلم يفدوا على السلطان الفاتح لأنهم  
كانوا من محالف الملك الجراكسة فتحذروا منه ، وقد ثبت السلطان  
هؤلاء الأمراء في بلادهم وفرض عليهم جزية صغيرة  
وهكذا ظل الحال اقطاعياً في الجبل وكانت الاقطاعات منقسمة  
إلى خطط صغيرة يدير شؤونها أمير أو مقدم أو شيخ وما زال الأمراء  
الذين تواليوا على ولاية الجبل ينتخبهم ذوو الاقطاعات عند انقراض  
الأسرة الاميرية

#### تنظيم الادارة في سوريا

ولما عاد السلطان سليم من مصر بعد ان فتحها وضمها إلى الامبراطورية  
العثمانية اخذ يعمل على تنظيم الادارة في سوريا ، فقام عليها جماعة  
من اخصاره وعين الغزالى وهو من الملوك حاكماً على دمشق مكافأة له

### ثورة الغزالي

على خدماته للترك في تسهيل الفتح السوري لهم وما عاد السلطان من حلب الى الاستانة ثار احد الزعماء العرب من البدو فتمكن الغزالي من اخماد الشردة وكبر بعدها شأنه، وعظم امره.

### ثورة الغزالي

ثم حدثته نفسه بالاستقلال في سوريا وكان داهية حاذق حكم البلاد بيد من حديدورأى في الماليك المصريين انصاراً ومساعدين فجمع حوله منهم اثنى عشر الف جندي ولاقى في السلطان سليم الاول خلع العذار ودعالي الثورة ونادى بنفسه سلطاناً باسم الملك الاشرف في جامع بنى امية في الشام

### القضاء على الثورة

بيد ان السلطان سليمان ارسل فرهاد باشا مع فرقه من الجنود له ومحق ثورته فالتحق الجيشان في قرية القابون على مقرية من دمشق فغلب الترك الغزالي وهلك الغزالي في المعركة وذلك سنة - ١٥٢١ - وكان من اثر هذه الثورة في البلاد ان اخرج الترك من الادارة في سوريا جميع الموظفين الماليك وعيينا بدلاً منهم موظفين من الترك، وكان لفرهاد باشا نياية طرابلس وهو موقع مهم نظرآ لقربه من البحر وجبال الناصرية ولبنان وداخلية البلاد

### تقسيم سوريا

وقسام سوريا الى ثلاثة اقسام او ثلاث ولايات يحكمها ثلاثة باشاوات الشام وحلب وطرابلس وكان البشاوات يتداولون بسرعة على

حكم الولايات السورية المذكورة ؟ وهو ما زاد البلاد انفاساً في الفوضى والانحلال .

• • •

### اسئلة

- ١ - لماذا تقدم الاتراك الى سوريا ؟
- ٢ - من فتح سوريا من سلاطين الاتراك وكيف كان ذلك ؟
- ٣ - هل دخل الفاتح لبنان وما هي اعماله فيه ؟
- ٤ - من هو الغزالي وما شأنه في سوريا ؟
- ٥ - كيف قسمت سوريا عهد الترك ؟

\*\*\*

## الفصل العشرون

سوريا ولبنان في القرن السادس عشر

١٦٠٠

سياسة العثمانيين في سوريا ، المناصب بالزيادة ، السلاطين الترك  
لبنان في القرن السادس عشر ، نكبة علي لبنان

### سياسة العثمانيين في سوريا

بقي ارباب المقاطعات في الدولة العثمانية كما كانوا في دولة الماليك  
يضمنون الخراج مقابل اموال يعتمدون بها ثم يظلمون الناس في تحصيل  
اضعافها مثل امير عرب الشام مدلوج بن ظاهر ، وكانت منازل قومه في

سليميه وغيرها والامير فخر الدين المعنی الاول حاكم الشوف في جبل لبنان والامير جمال الدين الاسلاني حاكم الغرب في الجبل المذكور وبني شهاب في وادي التيم، وبني الحرفوش في بعلبك وغيرهم وكلهم اشبه باصراء صغار يخضعون الخضوع التام لحكام من الباشاوات الترك. واحسنهم حظاً من كان على صلات حسنة مع الوالي التركي القريب من عمله، فإذا غضب الوالي على الامير المتغلب ارسل عليه جيشاً من الانكشارية كما فعل والي دمشق سنة (٩٣٠) هجرية مع امير الشوف في خرب العسكري قراه، ويستصفى امواله ويأسر اهله ورجاله ويسي نساءه، فلعوا ذلك صرات في لبنان والبقاع وبعلبك ووادي التيم وغيرها وينشأ هذا الغضب من تأخرهم عن دفع الخراج، اما المظالم التي تنزل بالناس فحدث عنها ولا حرج

## المناصب بالزاد

وكان من قواعد الحكومة العثمانية اذا فتحت قطراً ان توسد المناصب الكبرى للترك والصغير لاهل البلاد ثم تترك القطر و شأنه يتحكم فيه الوالي كما يشاء، ولما كانت المناصب تبع بالزاد في الاستانة كان اكثراً الولاة من الساقطي الاخلاق اصحاب الموبقات

## السلطان الترك

ولقد كان السلاطين الترك في هذا الوقت مشغولين بفتح وحاجتهم وكانوا اقلياً يهتمون لهذا القطر الصغير بجانب امبراطوريتهم الضخمة، ذلك انه كانوا لا يتطلبون اكثراً من ان تقام الخطة باسمهم وان يدفع لهم

الخارج في وقته و كان سلطان الترك في هذه الفترة سليمان القانوني الذي حكم ٤٨ سنة و حارب اثنى عشرة مرّة كان فيها مظفراً منصوراً، ولكنّه كان بطاشاً فاتكأنّا في ايامه اهل حلب؛ وقتلو القاضي والمفتى فصدرت ارادته بقتل جميع اهل حلب لولا ان كان في الصدارة رجل عاقل اسمه ابراهيم باشا تكّن من الغاء هذا القرار واكتفى بقتل زعماء الفتنة

### حملة على الدروز

ومن الاحداث في الشام ان والي دمشق اياس باشا جهز سنة ٩٣٠ هـ حملة لقتال الدروز في الشوف فانتصر عليهم واحرق قرية الباروك وثلاثاً واربعين قريّة . وارسل الى دمشق اربعة اجمال من رؤوسهم وكانت تكثّر الدسائس في هذا الحين في لبنان بينبني الحروفوش امراء بذلك وآل سيفا حكام طرابلس

### لبنان في القرن السادس عشر

وكان الدروز في القرن السادس عشر يسكنون غربي لبنان وفي وادي التيم ، وكان يتولى امرهم بعض عشائر اميرية اقدمها آل تنوخ وكان نجم سعدهم قد مال الى الافول بينما نجم العنبين القاطنين في الشوف اخذ في الظهور والاشراق ، وكان سوددهم يزداد يوماً في يوماً فсадوا الشوف واصبحت كلمتهم تأذن وسيطرتهم عظيمة وخصوصاً ایام الامير فخر الدين المعنى الاول الذي استأثر بالسلطنة العليا المطلقة في الطائفية الدرزية؛ وكان للعنبيين حلفاء منذ القرن الثاني المسيحي مقيمين بجاصبيا وراشيا وما يجاورهما في وادي التيم وهم الامراء الشهابيون ، وكانت الصلة بينهما

دينية سياسية، وكان الدروز في هذه الجهات معززين مكرمين. وكان يتanax امارة طرابلس آل سيفا وبنو شعيب وكناهاتين العائلتين من الاكراد وما زالتا كذلك حتى تغلب آل سيفا او اخر القرن السادس عشر وفاز احدهم باسم الولاية على طرابلس مع لقب باشا وكان التنوخيون في لبنان المتوسط منقسمين الى حزيين قيسى ويعنى وتولى بنو الحرفوش شؤون المباولة في البقاع واحتل النصيرية شمالي عكّار وهي بلادهم الى اليوم. وكان الامر في شمالي لبنان لبني عساف اصحاب غزير وجبيل وكانوا من التركان اقيموا على حراسة كسروان ولكنهم انقرضوا في اواخر القرن السادس عشر وتغلب عليهم بنو سيفا امراء طرابلس

## نكبة على لبنان

وما يذكر ان اللبنانيين ما برحوا حتى اواخر القرن السادس عشر آمنين مطمئنين في حالتهم التي كانوا عليها مع انقسامهم الى حزيين قيسى ويعنى وابتلاعهم بخصوصات واختلافات محلية الى ان فاجئتهم سنة ١٥٨٥ نكبة كدرت صفو عيشهم وشوشت احوالهم وهي انه بينما كانت شرذمة من الانكشارية سائرة قرب عكّار باموال ضرائب مصر وسوريا الى الاستانة وتب عليها اللصوص وسلبوها فوجئت التهمة حينئذ على بعض امراء لبنان عموماً على امراء الدروز خصوصاً فانتهزت الدولة الفرصة لاظهار بخطتها في الجبل وتولى ابراهيم باشا عامل مصر تنفيذ هذه البطشة فاطلق اليه فيها بشدة وكان اذ ذاك حاكماً كبيراً امراً الامير قرقاز ابن

امير فخر الدين المعنى الاول فلم يلبث في وجه ابراهيم باشا وتوارى  
مختبئاً في قلعة شقيف طيرون وهناك مات غماً اما الامراء التنوخيون  
فقد سار بهم قائد الحملة الى الاستانة حيث برزت ساحتهم واعيدوا  
مقررات على اماراتهم

اسْمَةٌ

- ١ - ما تعرف عن سياسة الترك العثمانية في سوريا في القرن السادس عشر ؟
  - ٢ - كيف كانت احوال سوريا في هذا العهد ؟
  - ٣ - فسر عدم اهتمام الترك بشؤون سوريا ؟
  - ٤ - تكلم عن المناصب وكيف كان توزيعها الى الطلاب ؟

三

الفصل الحادي والعشرون

# سوريا ولبنان في القرن السادس عشر والسابع عشر ١٦٠٠ - ١٧٠٠

الامير فخر الدين المعنى ، هربه وعودته ، اعماله واصلاحاته  
التجارة والزراعة في أيامه

## الننان والامير فخر الدين الثاني ١٥٨٤-١٦٣٥

لما بلغ فخر الدين الثاني<sup>(٤)</sup> المعنى اشده القى اليه خاله مقايد الامارة

(١) ولد فيخر الدين الثاني سنة ١٥٧٣ ، ولما مات ابوه قرقاز كفله آل الخازن في كسروان ، فعرف لهم جيلهم بعد ما سترد امارته في الشوف ، وانخذ احد افراد اسرتهم اي انادر الخازن وكيلا له

على الشوف وكان قد تدرب على فنون السياسة والوان الحياة فأخذ يعمل من سنة ١٥٩٨ - ١٦١١ على توسيع نطاق امارته فضم اليها قسماً من املاك يوسف باشا سيفا حاكم طرابلس ؟ ثم استولى على اراضي امراء البقاع الحرفوشين ، ورأت الدولة العثمانية توسعه فاوجست شرّاً ولكن تركه و شأنه يقاتل بقية الامراء العتاة رغبة منها في اضعافهم جميعاً فبسط سيادته على كسروان والمدن الساحلية والاقاليم الممتدة الى صيد و عجلون و بانياس وكان ليهورت و صيدا النصيب الاوفر من اصلاحاته ولقد دعى باسر الجنديه كثيراً فرتب لنفسه جيشاً كبيراً عدده ثلاثون ألفاً ، و انشأ على طول الحدود استحكامات و قلاع و انشأ مثل ذلك في المدن الواقعه على الحدود (كبانيس) (وشقيف) (وطيرون) وغيرها

### هرب الامير فخر الدين

ولم تطل مدة تبسسه في السلطة والسلطنة حتى اتجه للعثمانيين عليه شبّهات و دبيب فتغيرت النية عليه ، وكان ان تعين سنة ١٦٠٩ لولاهية الشام حافظ باشا حاكماً وكان ذا حزم و عزم ، فتولى بنفسه قيادة العساكر الاناضولية لحاربته . فلم يُعرف الامير فخر الدين بذلك ورأى انصاره عنده ، ركب البحر الى ايطاليا سنة ١٦١٣ بعد ان عهد بالامارة الى ابنه علي ، ونزل في ايطاليا في قصر اصدقائه (المديشيش) اصحاب توسكانا بالاحتلال والاحتفاء . وعلم حافظ باشا بسفره على حين فجأة فأسقط في يده و تذكرت الاميرة نسب زوجة الامير فخر الدين من ارضاء البالشا بالمال كي يغض العرف عن الامارة فلا يتقدم اليها باذى او شر

## عودته

ولما عاد الامير فخر الدين من سفرته هذه سنة ١٦١٨ اخذ  
يجدد صولته وينحسن شوونه وكان قد تعرف على بعض مذاهب الحياة  
والعلوم في ايطاليا فعمل على تطبيقها في بناء الحصون والقلاع في لبنان؛  
وتمكن من قهر اعدائه امثال آل سيفا حكام طرابلس وهدم حصنهم  
في عكار . وفتح الامير فخر الدين الشواطي للتجارة ، وتمكن تجاراً  
افرنسيين في صيدا من بناء بعض الفنادق والخانات . بيد ان الدولة  
العثمانية كانت تنظر الى اعماله نظر الموجس المضطرب الخدر ، ثم ما لبثت  
ان ساقط عليه جيشاً عظيماً قهره في وادي التيم حيث قتل ابنه الامير علي  
ثم شقيقه الامير يونس متاثراً من جراحه ، فانهزم لاجئاً الى قلعة شقيف  
ثم الى احدى المفاور ، ثم سلم نفسه الى الوزير المنتصر فسار به مغلوباً  
على امره الى الاستانة حيث قتل سنة ( ١٦٣٥ )

وخلفه على الامارة الامير ملحم ابن أخيه وسنة ١٦٥٧ خلف الامير  
ملحم ولداه احمد وقرقاز ثم بعد وفاة قرقاز استقل الامير احمد بالامارة ،  
 واستمر لبنان في عهده يرتقي بتوacial علاقاته التجارية مع اوروبا

## التجارة والزراعة في ايامه

وقد نشط الامير فخر الدين الزراعة واكثر من غرس التوت ، وهو  
الذي ادخل الموارنة من المسيحيين الى لبنان الجنوبي كي يعملا  
على حراثة الارض وزرعها باسم اصحابها من الدروز  
وكانوا يشحنون في ايامه من صيدا اعد احرir الشوف القطن والزيت

والارز ، وعادت الى بيروت ايام عزها فكانت المراكب الاوروبية ترسو  
آمنة مطمئنة فيها وفي غيرها من المدن الساحلية

\*\*\*

## اسئلة

- ١ = اذكر ما تعرفه عن الامير خير الدين المعنى الثاني ؟
- ٢ = لماذا هرب من بلاده وكيف كان ذلك ؟
- ٣ = ما هي اعماله واصلاحاته ؟
- ٤ = كيف كان حال التجارة والزراعة في عهده ؟

\*\*\*

## الفصل الثاني والعشرون

سوديا في القرن الثامن عشر

١٨٠٠

---

الاحوال العامة ، الانكشارية ، حكومة لا مر كزية  
تركيا وعدها في سوريا

---

ليس في تاريخ سوريا المتوسط ما يستوقف النظر فهو عبارة عن فتن  
وحروب وسوء ادارة وفوضى ؛ كانت البلاد تسير من فساد الى فساد

وشقاء الى شقاء، وكان الولاية يتعاقبون على القطر، والسعيد منهم من يحول عليه الحول، و اكثرهم يقيمون فيها اشهر ثم يصرفون ويستبدل غيرهم بهم، ومنهم من كان يقيم اياماً فقط ولقد تعاقب على دمشق في قرن واحد واحد وثمانون والياً وعلى حلب تسعة واربعون فكان الوالي لا يتمكن من الاصلاح وان اراده، وكان لا يتوفر على غير جمع المال بالطرق المتنوعة، يتخدنه سبلاً لارضا، اصحاب النفوذ في الاستانة، وكان الولاية يتبعون الولاية ابتداءً والمزيد الاكبر هو الذي ينال مطالبه

## الانكشارية

ومن اعظم المؤامل في اشقاء سوريا ايضاً في العهد العثماني التركي خروج الجند التركي (الانكشارية) عن حدتهم واعتدائهم على الناس، وبطشهم بالشعب، يستطيعون على امواله وعرضه ولا من دادع ولا وازع ذلك انهم كانوا في البلاد القوة القاهرة التي لا تغلب

## حكومة لا مركزية

ولقد كانت سوريا في القرن الثامن عشر حكومة لا مركزية اي حكومات امراً ومشايخ يقوم كل منهم بحكم منطقته، فاذا اختلف اثنان كانوا يتلقاضيان عند الشيخ ويقبلان حكمه لا محالة، ومن خالف عادات البلاد او اخل بتقاليدهم يسجن في سجنهم وكان الشيخ او الامير يجيء الضرائب ويقدم المتوجب عليه للوالى وأخذ الباقى لنفسه واذا حدثت فتنة او خيف من وقوعها كان الوالي يطلب المعاونة من امراء منطقته فيخرجون بانفسهم ورجالهم وفرمانهم، وكثيراً ما

كان يستبد هو لا، المشايخ بالفلاحين ابتغاء، مرضاه الامراء، والولاة  
وقد ادى هذا النظام الى انتشار الفوضى واختلال الامن وسبب  
للحكومة التركية خسراً كبيراً في الاموال والرجال وكان كثيراً ما  
يئود احد الامراء فتجهز الدولة جيشاً لمحاربته فإذا قت لها  
الغلبة عليه اقتلت اشجاره وخربت مزارعه؛ وهذا غاية في التدمير  
وخراب البلاد

## تركيا وعاتها في سوريا

ولقد طلع القرن الثامن عشر على الدولة العثمانية وهي لا تفك  
في غير مصائبها الخارجية، والمملكة التي تتد من اسوار فيناحتي جنوي  
بلاد العرب لا وحدة فيها ولا جامعة تجمعها، وليس متجانسة ولا متماثلة  
تكافحها الثورات الداخلية، وتساورها اخروب الخارجيه، فلم تكن  
تعمل لدفع الاولى ولا لاتقاء، شر الثانية، وكان نصيب سوريا من هذه  
الفوضى الشر الاكبر، فقد ندر ان كان يهبطها من الاستانة حاكم  
صالح في اخلاقه معروف باستقامته، وكبر عقله وسعة معرفته، يحسن  
الادارة ويكتف المظالم، فكان كل من يقصدها يقصدها لغاية هي جمع  
الاموال وانشاء ثروة كبرى تكفيه وابلاده واحفاده، وكانت الضرائب  
لاتجيبي بصورة منتظمة قطعاً فقد تجيبي جباية سنتين او ثلاث في غير  
اوقاتها وفي آن واحد، ولا تراعي في الجبايات اعوام القحط والجذوب  
واذا ضاقت الحال ب احد العقلا، فرفع صوته بالشكوى عدوه  
نائزأ وحرفوها دعوته وسفهوا امره ورأيه هذا ان لم يعملا على القضاء عليه

سياسة الاستانة

وكان حكومة الاستانة قلما تفك في استئصال الشر ، وما بحثت  
قط عن اسبابه وقلما اهتمت للفتن المحلية الا اذا الته بشارتها وخيف  
منها على سلطانها ، ولماذا تهم وهي تضرب القطر بشقيقه ؟ والامير برفيقه  
واذا اوجست شرًّا من وال او صاحب نفوذ سلطت عليه جاره او خصمه ؟  
فالناس في سوريا ابداً متعادون متشاكرون وهو ما عامل على تزويق الوحدة  
السورية في السياسة والدين والاجتماع

مظالم الولاة

بعد هذا القرن وعبدون باشا والي صيدا يلاً للبلاد ظلموا جوراً، وجعفر  
باشا والي دمشق ليس دونه في المظالم ، اما الامر ، المتغلبة من ابناء البلاد  
فكان اكثراهم من احفاد الذين سبقوهم في عكار ولبنان ووادي  
التميم وبعلبك وحوران والكرك وسليمية ، وقد تأهلاً بي دمشق في هذا  
القرن على واليهم لارتشائه وطربوه من الشام ورفعوا علم الثورة الا ان  
ذلك لم يطل طويلاً فقد اقتضت الدولة التركية من العاصين فارهبت  
الباقيين .

الثورات الداخلية

وتار الحمويون ايضاً على متسلهم او حاكمهم لتعديه وظلمه فاخر جوه  
من البلد قهراً ، فذهب الى المعرة وشكى اهل حماه الى الاستانة بفاء  
الامر بقتل زعيمهم وهكذا كان .

ولقد كانت البلاد في فوضى ما بعدها فوضى ؟ حتى صارت ارض

الشام تمج بالظلم وكثر استلاب الاموال ، وحدث في منتصف القرن الثامن عشر ان ثارت فتنة في دمشق فظلت ثلاثة ايام مغلقة ، وقتلت فيها جماعات كثيرة وكان مثلمها في حلب .

### ظهور آل العظم

وعرف هذا القرن بظهور آل العظم حكامًا على الشام وقد اختلف الباحثون في اصلهم ، وتولى اولهم اسماعيل باشا العظم ولاية الشام في منتصف القرن وفي هذا القرن ايضاً جهز مالايك مصر حملة على سوريا بقيادة محمد ابو الذهب فاستولى عليه حتى حلب وحاصر دمشق ولكن الشاميّين رشوه فرجع عن فتحها الى مصر . ثم عاد بأمر السلطان لمحاربة الشيخ ظاهر العمر<sup>(١)</sup> وكان عاصيًا في عكا فدمر كثيراً من البلاد ثم توقي و كانت البلاد قد صارت خراباً

### اسئلة

- ١ - تكلم عن الاحوال العامة في سوريا اول هذا القرن ؟
- ٢ - اذكر ما تعرفه عن عمال تركيا في سوريا ؟
- ٣ - كيف كانت حكومة سوريا ؟
- ٤ - كيف كانت سياسة الاستانة في البلاد ؟
- ٥ - اذكر شيئاً عن مظالم الولاية ؟
- ٦ - ما تعرف عن الثورات الداخلية ؟
- ٧ - صف الحالة العمومية في سوريا في القرن الثامن عشر ؟

(١) كان ظاهر العمر ١٢٥٠ - ١٢٢٥ رجلاً جريئاً جسوراً استولى على عكا وحكم بلاد المتأولة وعصى تركيا واخذ يناوش جنودها حتى تكانت منه سنة ١٢٧٥ خلفة الجزار في عكا ، وكان الجزار اكبر عامل على اهلاكه

## الفصل الثالث والعشرون

لبنان في القرن الثامن عشر

١٨٠٠

الشهابيون ، احمد باشا الجزار ؛ نابليون يوتأبرت

الامير بشير الشهابي الاول ، الامير ملحم ، تنصر الشهابيين ، الجزار و سياساته  
اخلاقه ، اعماله في عكا ، نابليون في سوريا

لبنان في القرن الثامن عشر

نحن الان في اول القرن الثامن عشر وكان الامير احمد بن معن قد  
توفي قبل ثلاث سنوات ( ١٦٩٧ ) فانقرضت بتوته الدولة المعنية اذ  
لم يكن له عقب ، واجتمع المشايخ من المقاطعات السبع في لبنان وانتخبوا  
مكانه الامير بشير بن شهاب من امراء وادي التيم حاكماً على لبنان  
فتولى الحكم واحبه الناس لانه كان عادلاً كريماً .

وكانت البلاد يومئذ حزينة : قيسى ويني وكان الاولون من انصار  
الامير بشير و كانوا اكثراً قوة واشد عصبية من اليمنيين فاضطر هؤلاء  
إلى الرضى قسراً بامارة الامير بشير الاول

الامير ملحم

وتوفي الامير بشير سنة ( ١٧٠٦ ) فخلفه الامير حيدر الشهابي وكان

حازماً قوياً تغلب على الحزب اليمني وسحقه، وذلك في معركة عين داره سنة (١٧١١) واخذ يتفرغ بعد هذا الانتصار لاصلاح شؤون لبنان وتحسين احوال اهله، وترتيب ادارته فجعل جميع عماله من حزب القيسية وامتد نفوذه حتى بلاد بشارة وحاصبيا وراشيا والبقاع وبعلبك

### نصر الشهابيين

وخلفه سنة ١٧٣٢ الامير حيدر ابنه وكان المال الذي يعوديه كل سنة الى الدولة عن البقاع الغربي (٤٥٠٠) ليرة عثمانية وفي ايامه دان اولاده بالنصرانية واقتدى بهم بعض الامراء الامعین تاركين مذهبهم الدرزي، وكان السبب في تنصيرهم اكتساب موالية الطائف المارونية لأنها كانت أكثر الطوائف اللبنانيّة عدداً وخطرأ

وخلف الامير ملحةً بعد مرضه واستقالته عماد الامير ان احمد ومنصور فاختلفا وانقسم الدروز والموارنة الى اقسام يشایع كل منها امير آخر اخليد الامير احمد الى السلام واستقل الامير منصور بالحكم، ولكن على اثر انتصارات ابن أخيه الامير يوسف على الشيعيين اضطر الامير منصور الى الاستقالة فخلفه الامير يوسف سنة ١٧٧٠

### احمد باشا الجزار ١٧٧٥ - ١٨٠٤

ولكن الايام لم تتمكن الامير يوسف من الراحة فقد بلاء الله بالرجل المايل احمد باشا الجزار من رجال الدولة المستبددين وكان يرمي الى تأسيس مملكة لنفسه لشابة مملكة الامير فخر الدين المعنى؟ وكان هذا

الرجل ادناؤطياً اتصل بالامير يوسف حاكم لبنان فادخله في خدمته وفوض  
اليه قيادة بعض جنوده، ثم عهد اليه بالمحافظة على مدينة بيروت اكبر  
مدن ولاليته الابنانية، فسولت له نفسه ان يغدر باميره فطفق يحصن  
من كزه الجديد، وارداد الامير يوسف اخراجه فامتنع عليه، واستجار  
باليشيخ (ظاهر العمر) حاكم عكا، ثم اخذ يحتال على الشيخ ظاهر  
ويساعد الاستانة على قهره واذلاله وكان عاصياً حتى ارداه، فحفظت  
له الدولة هذا الصنيع وعيته والآلية صيدا سنة (١٧٧٢)

## الجزار في عكا

وقال الامير يوسف لترقيه الجزار ومجاورته له، فسعى الى قتله بكمين  
نصبه له قرب الدامور فنجا الجزار منه اذ كان قد اخذ حذره، وشرع  
يعمل على توسيع منطقة نفوذه فاستولى على املاك الامراء الشهابيين  
في البقاع سنة (١٧٧٦) واحذت سلطته تتدريجاً يوماً فيوماً من سنة ١٧٨٢  
حتى وفاته سنة ١٨٠٤، وتكن من الحصول تكراراً على ولاية دمشق  
وطرابلس، وكان يدرأ عن شكوك الدولة العثمانية في مقاصده باداء مبالغ  
جسيمة للمتنفذين في الاستانة، ثم نقل من كز اعماله واقامته من صيدا  
إلى عكا، وصرف اهتمامه إلى تحصينها واصلاحها، حتى صيرها بما انشأه  
فيها من الاستحكامات قطعة قوية منيعة، واعددها للتجارة الاوروبية  
باجراء التسهيلات الالازمة، وعلى هذا المنوال سار الجزار في ادارة ايالاته  
فكأنه ملك مستقل لا يدفع من الجزية الا ما شاء، وكيف شاء  
ومتي شاء.

## الجزار وأخلاقه

وكان الجزار جازأً فاتكأً سفاً كاً للدماء ذا حزم ودها، وتدبرير؟  
نظم ما امكن من شعرون الایالة ورتب ماليتها، وناوا امراً الجبل  
بالدها، والحيلة فقسمهم بعضهم على بعض اتقاً، اتحادهم عليه، وتشدد  
في ضروب المساومة ثناً للمناصب يدعها بيع السلع

فكان الامير الكبير يضطر الى قبول المقترفات والشروط الثقيلة  
تفادياً من غلبة مزاحمي ونظارته، وهو مضطرب دوره لزيادة الضرائب  
لسد العجز وتقديم المال اللازم، حتى لم يبق في مندوحة الامير يوسف  
الاصطبغ فتاً م واحد اعون الجزار على الثورة ولكن الجزار هزمها  
في معركة قب الياس سنة (١٧٨١) وانكفاً الامير يوسف منهزاً لا  
يقوى بعدها على البقاء في منصبه فاستقال للامير بشير ابن أخيه  
الذي كان في الثالثة والعشرين من عمره، وهذا وishi به بعد فترة من  
الزمن الى الجزار، فجسسه وهلك في السجن

نابليون بونابرت في سوريا ١٧٩٩

وبينما كانت الفتن الاهلية تشتعل في البلاد، والبلاد قد ضفت  
فيها كل قوة، والدولة العثمانية كلما رأت عاملاً قوياً تكتفي بان تضم له  
في جواره عاملاً اخر ليظل في خلاف وخصام معه، وسوريا خالية من  
وسائل الدفاع هاجم الجنرال نابليون بونابرت الفرنسي سوريا سوريا سنة ١٧٩٩  
بطريق العريش بعد ان فتح مصر ومعه ثلاثة عشر الف مقاتل  
ولما بلغ الجزار قدوم الجيش الفرنسي من مصر الى عكا اسرع

إلى تدبیر ما يحتاج إليه في الحصار، وارسل إلى يافا جنداً وحصناً  
بالمدافع وأخرج المسيحيين من المدن الساحلية اكتفاً لشريم  
واستولى الفرنسيون على يافا وغزه بعد حصار يسير  
وتقدموا إلى حيفا فسلمت لهم، ثم ذهبوا إلى عكا وفيها الجزاير  
فحصروها

## خسارة الحملة

وكانت بين الفرنسيين وجند من دمشق معركة انهزم فيها الجندي  
الدمشقي وعاد الفرنسيون إلى عكا يحاصرونها ويشددون عليها الحصار  
وهي تقاوم ببسالة وبجدية، وكان الفرنسيون يرجمون على الأسوار  
والقنابل تهال عليهم كالمطر؛ وقد تمكّنوا فعلاً من هدم بعض أسوارها  
ولكنهم لم يتمكّنوا من دخولها، وقد فدوا على سورها ثلاثة آلاف  
وخمسة جندي، ومات في الطاعون وعلى الطريق ما يزيد عن الف.  
ولما رأى نابليون ذلك وما كان من اثارة إنكلترا الشعوب والدول  
عليه كر راجعاً إلى مصر. وكانت مدة مقامه في سوريا شهران

## نابليون والأمير بشير

وكان نابليون قد سأله الأمير بشيراً الكبير أن ينضم إليه وإن  
يساعدته في حصاره لعكا فاجابه على كتابه أولاً بالسکوت ثم بالوعد  
بالمساعدة بعد فتح عكا؛ فحفظ الجزار للأمير بشير هذا الوعده لنابليون  
واقسم ليتقىمن منه بعد انصراف الفرنسيين عنه

ولقد تم انسحاب نابليون من سوريا بمشقات عظيمة، ولم يمض شهر على رجوعه الى مصر حتى كسر الترك في (ابي قير) ثم ابحر بعدها الى فرنسا خلسة، لأن الاسطول الانكليزي كان يحرس البحر يوم من ذ وترك الجنرال كلير وكيلآ عنه في مصر ولم تترك حملة نابليون في سوريا اثراً يذكر لسرعتها اذ انها لم تتجاوز السنتين يوماً، ولو تم ل Nabiliون ما اراده من الاستيلاء على الشرق لكن للتاريخ الحاضر خبر جديد وحديث عجيب

\*\*\*

## اسئلة

- ١ - اذكر ما تعرفه عن قيام الامراء آل شهاب في اول القرن الثامن عشر؟
- ٢ - تكلم عن الجزار وسياسته واخلاقه؟
- ٣ - ما تعرف عن علاقات الجزار والامير يوسف؟
- ٤ - كيف كان الجزار في اياته؟
- ٥ - كيف تزد نابليون الى سوريا؟
- ٦ - ما تعرف عن حملة نابليون الى سوريا؟
- ٧ - كيف تم انسحاب الحملة من سوريا؟
- ٨ - ما هي نتائج الحملة في سوريا؟



# العرب والاسلام

فصول في تاريخ العرب والاسلام

## الفصل الرابع والعشرون

العرب في الجاهلية

العرب والصحراء ، اخلاقهم ، عادتهم ، حياتهم الاقتصادية ، الشعر  
والشعراء ، غوض التاريخ العربي القديم

## العرب والصحراء

ليس يقل الذين يتكلمون العربية في هذا العصر عن سبعين مليوناً  
يعيشون في دول متاخمة تتدحرج حول الشاطئ الجنوبي للبحر الابيض  
المتوسط وتحيط بالبحر الاحمر وتتدحرج داخل آسيا الى العراق وتنسلل بعده  
إلى طوائف العجم وافغانستان وتركستان والهند يدين جلهم الاسلام .  
وقد خضعوا منذ اكثر من الف سنة لاصادر متشابهة فسرت بينهم مع  
وحدة اللغة والعقيدة والافظ وحدة في الفكرة وفي الحضارة جعات منهم  
كتلة تتأثر بتراث متشابهة وتنظر الى المستقبل ولكل منها فيه مالسائزها  
من ر جاء وامل .

هذه الوحدة في اللغة والعقيدة والاصادر يرجع تاريخها في هذه الامم

جميعاً إلى تاريخ دخول الإسلام إليها مع العرب الفاتحين . أما قبل ذلك فكان لكل أمة منها لغتها وعقيدتها وكانت أمم إفريقياً تكاد تنفصل عن أمم آسيا خلا سوريا وفلسطين وما يتصل بهما ، فكانت في أكثر حقب التاريخ وشبيحة الاتصال بمصر وان استقلت بلغتها الآرامية عن المهروغليقية وغير المهروغليقية من اللغات التي استقرت على ضفاف النيل . ولقد لعبت هذه الدول التي اتحدت لغة وعقيدة ومصائر بعد الإسلام دوراً العالم من أكبر الأدوار في تاريخ لا يزال اثره بارزاً واقرت في العالم حضارة لا يزال اثرها ولن يزول .

### الحياة العربية

كان لكل أمة من هذه الأمم قبل الإسلام لغتها وعقيدتها ، وكان مصير بعضها يتعلق تارة بدولة كبيرة كدولة الفراعنة أو دولة الروم أو دولة الفرس ، ويتحكم تارة في مصائر هذا الغير من طريق الغزو أو من طريق الدين كما كان الأمر بعد ظهور اليهودية والمسيحية . أما العرب المقيمون في شبه الجزيرة والذين نشروا الإسلام في اقطار الأرض بعد ما نزل وحيه على رجل منهم فقد كانوا قبل الإسلام كما هم قبائل وعشائر تعيش في بلاد كانت ، كما لاتزال ، قاحلة لا يتوجه نظر أحد للاستيلا ، عليها مان لم يكن من هذا الاستيلا ، أية فائدة ، ولذلك لم يفتحها اليونان والرومان كما فتحوا سائر الممالك المجاورة لها . وكانت تعتمد في قوامها الاقتصادي على التجارة أكثر من اعتمادها على الشمرات القليلة الضئيلة التي وهبها القدر إليها . وكانت بلادهم بواقعها بين آسيا وأفريقياً وبجديها واضطرار

اَهْلُهَا لِلْسُعْيِ فِي مَنَاكِبِ الارضِ وَرَاهِ الرِّزْقَ طَرِيقَ التِجَارَةِ بَيْنَ الْامْمَاتِ، بِهَا وَكَانَ البرِيُومُثُدُ وسِيلَةً صَالِحةً لِلنَّقْلِ لَاَنَّ الْبَحْرَ كَانَ لَمَّا يَرْزُلُ مُتَنَهٍ وَلَا يَخْصُّ لِحُكْمِ الْاَنْسَانِ عَبَابَهُ، لَكِنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَكُونُوا لِذَلِكَ تِجَارًا بَلْ كَانُوا هَادِهِ لِلتِجَارَةِ الَّتِي تَقْرَبُ بِأَرْضِهِمْ مِنْ غَزَّ وَالْقَبَائِلَ إِيَّاهَا وَعَدُوِّاهُمْ عَلَيْهَا كَمَا كَانُوا اَصْحَابَ رَوَاحِلِ تَنْقُلِ الْمَتَاجِرِ مِنْ مَصْدِرِهَا إِلَى مَوْدِدِهَا وَهَذِهِ الْحَيَاةُ الَّتِي تَقْضِي فِي الْحَيَاةِ مِنْ غَزَّ وَالْمُعْتَدِي وَفِي نَقْلِ التِجَارَةِ مِنْ جَلَدِ الْبَلدِ تَدْفَعُ إِلَى النَّفْسِ أَسْمَى مَعَانِي الْبَطْوَلَةِ وَالْأَقْدَامِ وَالْاعْتِدَادِ عَلَى النَّفْسِ وَالْاعْتِدَادِ بِالذَّاتِ، لَكِنَّهَا كَذَلِكَ حَيَاةً قَاسِيَةً قَلِيلًا مَا تَدْرِهُ مِنْ الْرِّبَحِ كَثِيرًا مَا تَسْتَغْرِفُهُ مِنْ وَقْتٍ مِنْ يَعْانِيهَا، وَهِيَ بَعْدِ حَيَاةِ تَجَوَّلَ قَلَّ أَنْ يَسْتَقِرَ صَاحِبُهَا إِلَى ذُويَّهُ، وَقَلَّ أَنْ تَسْمَحْ بِقِيَامِ الْمَدَنِ وَتَرَكُونَ الْجَمَاعَاتِ الْمُتَشَابِكَةِ الْمُصَاحَّ الْقَائِمَةِ حَيَاةَ الْعَامَةِ عَلَى التَّضَامِنِ وَالتَّنَافِسِ جَيْعًا، وَمَا تَرَى تَلَكَ هِيَ الْحَالُ الْاَقْتَصَادِيَّةُ فِي شَبَهِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَيْوْمَنَا الْحَاضِرِ، فَالْمَدَنُ فِيهَا قَلِيلٌ، وَالْمُوْجُودُ مِنْهَا قَلِيلٌ عَدْدُ سُكَّانِهِ، وَلَقَدْ حَرَمَتْ مَا كَانَ لَهَا مِنْ قَبْلِ مِنْ مَزِيرَةِ صَرْورِ التِجَارَةِ بَعْدَ مَا اصْبَحَ الْبَحْرُ أَكْثَرَ مِنَ الْبَرِّ آمِنًا، لَكِنَّهَا اسْتَعَاضَتْ عَنْ ذَلِكَ بِوَسْمِ الْحِجَّةِ يَدْرِي عَلَيْهَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ مَا يَقِيمُ اَهْلُهَا طَولَ عَامِهِمْ.

مِثْلُ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْاَقْتَصَادِيَّةِ الَّتِي تَقْضِي عَلَى اَهْلِ شَبَهِ جَزِيرَةِ الْعَزَّالِ وَالْتَّجَوَّلِ وَتَخْتَمُ عَلَيْهِمْ مَوَاصِلَةُ الْعَمَلِ لِكَسْبِ الرِّزْقِ وَلَا تَيْسِرُ اِنْشَاءَ الْمَدَنِ الْكَبِيرَةِ لِيُسَيِّرُ طَبِيعَتَهَا إِنْ تَقْرَبَ حَضَارَةً ثَابِتَةً الْقَوَاعِدَ بِأَوْيَةِ الْاَثَرِ، ذَلِكَ بِإِنَّ الْحَضَارَةَ ثَمَرَةُ مِنْ ثَرَاتِ الْاِجْتِمَاعِ فِي الْحَضَرِ، وَهِيَ لَا تَتَفَقُ

وحياة البدية في كيانها على نحو ما هو ظاهر من لفظ الحضارة نفسه . ثم ان الحضارة فيض من عمل الانسانية عن حاجاتها المادية والمعنوية والادبية يزيد من هذه الحاجات ثم يحفز الانسانية في نفس الوقت الى سعي جديد يكون من اثره فيض جديد . وهذا الفيض المتابع هو الذي نقل الانسانية من حياتها الاولى الى ماتنعم به اليوم من ترق ورفاهية ، وهو الذي سينقلها في حدود النظام والتقدم الى ابعد مدى ترجيحه نحو الكمال .

### غوض التاريخ العربي القديم

وهذا هو السبب في غموض تاريخ العرب قبل الاسلام غموضاً كاد يكون تاماً . فيما يرجع تاريخ مصر لاكثر من ستة آلاف سنة فيصور لنا حضارة عظيمة ثابتة الاركان والقواعد تند من ضفاف النيل عبر البحر المتوسط الى اليونان وروما وتجاذب بزخ السوايس الى فلسطين وسوريا وما وراءها وتظهر فيها الحياة المادية والمعنوية والادبية واضحة الحدود والثنيات ، ثم هي مازالت ترداد بالبحث والتنقيب ظهوراً ووضوحاً وبيننا يجدثنا التاريخ عن اليونان وروما ويدل فيها على حضارة ترجع الى نحو ثلاثة آلاف من السنين ، وبيننا سائر الامم التي كانت معروفة في تلك العصور النائية قد تأثرت بهذه الحضارات وأثرت فيها وكانت لها حضارات خاصة - بينما يكشف لنا التاريخ عن هذا اذا به لا يروى عن شبه جزيرة العرب قبل الاسلام بأكثر من مائتي سنة شيئاً معيناً . واذا روايته عن هذين المائتين من السنين لا تدل على اكثر من ان العرب كانوا أهل باس

ونجدة وحياة معنوية فياضة . اما الحضارة ومظاهرها من علوم وفنون ،  
اما هذا الفيض الذي يربو على حاجات الانسانية ثم يندمج فيها ليختلفه  
فيض جديد يندمج ليجيء ، بمدحه فيض غيره ، ثم ما يكون من ذلك  
من التقدم في سبيل الكمال فلا يجدثا تاريخ العرب قبل الاسلام عن شيء  
منه . بل لا يزال شبه الجزيرة في تارينه من بعد الاسلام الى يومنا خلواً  
من هذا لانه لا يزال كما كان خاضعاً لسلطان الحياة الاقتصادية التي لا  
تجود بما يقيم الركن المادي من اركان الحضارة .

## اخلاق العرب وعاداتهم

على ان الناحيتين : المعنوية والادبية كانتا قويتين في النفس  
العربية قبل الاسلام ولا تزال قويتين فيها الى حد عظيم . وهذه القوة  
المعنوية اثر من آثار قسوة الحياة الاقتصادية العربية ، او هي تعويض  
عن هذه القسوة تجود به الطبيعة وتقيمه في الكائن الحي فطرة للاحتفاظ  
بالحياة . فلو ان الحرمان المادي قابله حرمان معنوي لما استطاع هذا  
البدوي المقيم على شطاف العيش ان يجد في نفسه من الهمة ما يتغلب به  
على شدائده الدهر ونواته الزمن . بل لو ان نفسه كان فيها هذا الاستسلام  
الواحد المطمئن الى ما تجود به الطبيعة من عيش ناعم لقضى نفسه جوعاً  
وظماً . والقليل الذي بقي لنا من ادب العرب قبل الاسلام وفي صدره  
الاول ، يفيض بمعاني هذه الهمة وآثار تلك القوة التي كانت دائمة التحفظ  
لتجاذدة الطبيعة ومحالبتها . وماذا تسمى هذا الازدراه للتكتسب بالشعر  
الا انه سمو عن المسألة واحتقار لكل من تحذثه نفسه بان يعيش عالة

على غيره وان يكسب حياته من غير جده ونشاطه . ثم ماذا تسمى هذه الترفع من جانب الرؤساء عن قول الشعر الا ان هؤلاء الرؤساء كانوا يرون واجبهم في الدفاع عن عشائرهم والذود عن حياضها والحكم بين اهلها يقضى عليهم بالترفع عن القول الى العمل خصوصاً اذا اوجب هذا القول ما يوجبه الشعر العربي من غزل لا يتافق ورياساتهم الرفيعة . على ان الشعر الذي ناله الرؤساء وغير الرؤساء كان يفيض حماساً ونجدة وينبئ عن رفعة في النفس تبعدها عن الدنيا وتدفعها الى اسمى الغايات

### الشعر والشعراء

هذا الفقر في الناحية الاقتصادية والغنى في الناحية المعنوية ، وهذه العزلة الدائمة التجوال كل ذلك جعل من العربي رجالاً خيالياً لا يعرف من دقائق حياة الوجود الا قليلاً ثم هو مع هذا يريد كل ما في الوجود الى شخصه فيمتليء بذلك زهواً وافتخاراً . وانت فيما ترجع اليه من اشعار العرب قبل الاسلام لا تجد الا حديث الشاعر عن نفسه . فحبه وغزوهاته وكرمه و مجده ونسبه وانت تجد ذلك كله مذكورة بزهو اي زهو ، واعجاب اي اعجاب . فاما ما كان من مظاهر الحضارة في الشعر اما هذا الوصف لحياة الجماعات ونشاطها وغزوارات الدول الاجنبية ايها وفخارها بالنصر وألمها للهزيمة مما تجده في اليادة هوميروس ، واما هذه الفلسفة الدينية او الوثنية التي تعبّر عن ايمان الجماعة وأمامها في الحياة وفيما بعد الحياة مما تجده في اثار المصريين واليونان والرومان ، هذه الفلسفة التي تعبّر عن نظام الجماعة التي فرغت من سعيها لحياتها وجلست تفكّر

في امسها ويومها وفي الحياة والموت وما بعدها . واما هذه القصص التي يتلهى بها اهل المدن في مساراتهم حين قصفهم ولهوهم . اما غير هذا وما اليه من اثار الفكر والفن ومن ثرات الحضارة فلا تكاد تحسه في الشعر العربي قبل الاسلام . وكيف تطابه الى قوم حياتهم الاقتصادية ما رأيت لهم هو هذا الغزل بالنساء والاشادة بالحب وذكريه؟؟ والحب كما تعلم ليس الا حديث بقاء النوع ، كما ان الكفاح ليس الا حديث الاحتفاظ بالحياة تلك كانت حياة العرب قبل الاسلام . اعدتهم الطبيعة لحياة العزلة والجهاد فظلوا قبائل لحمتها النسب وسعها حمایة الجار عربياً كان او غير عربي . وانت لن تجد في شعر الجاهلي معنى اسسى من هذه الحمایة وبدل النفس في سبيلها واستعداد العشيرة على من يعتدي عليها . كما انك لن تجد عند الجاهليين من دوافع الطبيعة غير الغزل جاوز عندهم ما تدفع اليه فطرة استبقا ، النوع وتحسينه الى ان صار فناً يفكر معه الاعرابي في محبوته على انها أمل يتخيله وصورة يصل في وصفها الى ما لم يصل اليه سواء ، وذلك ان الشاعر العربي القديم كان يقاسي من ضرورات الحياة ما يقاسي ثم لا يجد من صور الترف والنعمه سوى المرأة . فكان لذلك يسبغ عليها كل ما في عقله وقلبه وكل ما في بصره وبصيرته من الصور والمعاني .

### العرب قبل الاسلام

اما ما سوى هذه المظاهر من صور الحياة فلم يذكر التاريخ عنها شيئاً واذا كان بعض المؤرخين قد وجد في بلاد اليمن وفي بعض سواحل

العرب شيئاً من آثار الحضارة فذلك لأن تلك السواحل كانت في حياتها الاقتصادية أحسن حظاً من داخلية البلاد المخاطة بالصحراء، لكن حظها لم يكن من الوفرة بحيث ينيل ماوراها من المتع المادي الذي يقيم الحضارة في شبه الجزيرة او في قسم منها ذي قوام خاص، لذلك بقيت حياتها البدوية أساس كيامها وبقي لها من هذه الحياة كل ما سبق وصفه من الآثار<sup>(١)</sup>

(١) ان اليمن خلافاً لـ كثـرـ الـلـادـ العـرـبـيـاـ الـبـاقـيـاـ اـرـضـ قـابـلـةـ لـدـرـجـةـ عـالـيـةـ مـنـ التـمـدـنـ وـلاـ يـخـيـيـنـ انـ التـمـدـنـ لـاـ يـتـولـدـ فـيـ قـطـرـ وـلـاـ يـنـمـيـ فـيـ بـعـدـ تـولـدـهـ الاـ باـجـتـاعـ عـاـمـلـيـنـ اـحـدـاـهـمـ موـافـقـةـ اـحـوـالـ القـطـرـ الطـبـيـعـيـ لـسـعـةـ الـعـيـشـ الـتـيـ هـيـ مـنـ شـرـوطـ الـعـمـرـانـ ،ـ وـالـاخـرـ خـصـالـ اـهـلـهـ الـحـمـيـدةـ مـنـ الذـكـرـ،ـ وـالـنـشـاطـ وـالـمـيـلـ اـلـىـ طـلـبـ الـعـالـيـ ،ـ وـلـاـ يـقـومـ التـمـدـنـ فـيـ بـلـدـ ،ـ وـلـاـ يـزـدـهـرـ الـعـمـرـانـ فـيـ مـكـانـ الـأـيـوـجـودـ هـذـيـنـ الـعـاـمـلـيـنـ مـعـاـوـلـكـنـ قـيـمةـ هـذـاـ التـمـدـنـ وـدـرـجـتـهـ لـاتـرـالـ مـنـ الـأـمـوـرـ مـعـروـضـةـ عـلـىـ بـاسـطـ الـبـحـثـ ،ـ وـلـيـسـ هـنـاكـ فـيـ مـاـ كـتـبـهـ الـيـونـانـ وـالـرـوـمـانـ وـالـعـرـبـ عـنـ الـيـمـنـ وـاـخـبـارـهـ شـيـئـاـ يـصـحـ الـاستـنـادـ عـلـيـهـ فـيـ الـحـكـمـ الـفـاـصـلـ ،ـ وـلـكـنـ فـيـهـ اـدـلـةـ كـافـيـةـ عـلـىـ وـجـودـ تـمـدـنـ عـظـيمـ فـيـ الـيـمـنـ الـقـدـيمـ وـنـسـرـبـ عـلـىـ ذـلـكـ مـثـلـ مـارـوـاهـ سـنـةـ ١٣١ـ قـبـلـ الـمـسـيـحـ الـجـفـرـاـيـ الـيـونـانـيـ اـغـاثـ خـيـدـسـ عـنـ الـمـبـانـيـ الـفـاـخـرـةـ وـالـتـقـوـشـ الـبـاهـرـةـ وـالـتـائـلـ الـجـمـيـلـةـ وـالـأـوـانـيـ الـذـهـبـيـةـ الـمـوـجـوـدـةـ فـيـ تـلـكـ الـبـلـادـ ،ـ وـماـ ذـكـرـهـ فـيـ الـقـرـنـ الـأـوـلـ لـلـمـسـيـحـ الـكـاتـبـ الـرـوـمـانـيـ بـلـيـنـوسـ الـأـكـبـرـ عـنـ الـمـدـنـ الـيـمـنـةـ وـالـخـنـرـمـيـةـ مـثـلـ (ـ رـمـنـاـ ) Ramna ذاتـ الـخـمـسـةـ وـالـسـتـيـنـ هـيـ كـلـاـ لـبـادـةـ الـهـةـ الـبـلـادـ ،ـ وـسـابـاتـa ذاتـ الـسـتـيـنـ هـيـ كـلـاـ Mariaba البـالـغـ مـحـيطـ سورـهـ مـسـافـةـ سـتـةـ اـمـيـالـ فـشـلـ هـذـهـ الـمـدـنـ وـالـمـبـانـيـ لـاـيـعـنـ انـ تـقـومـ لـاـ فـيـ قـطـرـ عـظـيمـ التـمـدـنـ كـثـيرـ الـعـمـرـانـ .

اما ثروة قدماء اليمنيين فقد رواها العرب وايدوها مؤرخوهم غير مررة وجاء في كتاب الاكيليل للهمداني ان الناس يغزون القصور الخزبية بين الجوف ومأرب لاستخراج ذهبها والاستيلاه على كنوزها، وقال مثل ذلك في كتاب صفة جزيرة العرب صفحة (٧٩)

ولما جاء الاسلام كانت شبه الجزيرة على حالها القديم منقسمة شيئاً وقبائل كل منها ذات كيان مستقل بحاله من نسب وتقاليد ولهجه عربية تختلف قليلاً او كثيراً عن لهجة قريش ، لكنها كانت جميعاً ذات حياة معنوية وادبية ممتازة في القوة ، وكانت هذه الحياة المعنوية غير متفقة مع ما كان سائداً بينها من عقائد اورهامها ايها سلفها وجنى عليها ما كان يردد اليها مع ابناها حالة التجارة من عقائد القبائل والشعوب المجاورة . لذلك وجدت كلمة الاسلام في بساطتها وقوتها وحقيقة صرعنى خصباً في نفوس ترجو ان تطمئن ، فلما اجتمعت كلة العرب في شبه الجزيرة حول الاسلام وتناصرت قبائلهم المتقابلة واصبحوا امة جمعت كل قوى العربي المعنوية التي هوا الى الفتح ليقيموا الدين ولينشروا ذلك الملك العربي العظيم<sup>(١)</sup>

---

في قصر خرب في شرق بلدة وضاحية انه « لايزال يوجد فيه الجرهر والذهب والناس يغزونه كما يغزون خربات الجوف »

(١) اقتطفنا هذا الفصل بتصرف قليل عن مقال للدكتور هيكل بك ، اما التعليق

عن تاريخ اليمن فهو للمواعظ .

## الفصل الخامس والعشرون

عصر الخلفاء الراشدين

الفتح العربي اسبابه وتأثيره ، العرب والروم ، ابو بكر وعمر بن الخطاب  
الفتنة في الاسلام

الفتح العربي اسبابه وتأثيره

توفي النبي عليه السلام وقد ترك الامم العربية خلفائه حزباً واحداً  
وعصبة واحدة بيد ان هذا الاتحاد كان له تزواته وسقطاته ومثل ذلك  
فتنة الردة يوم قام بعض الاعراب بعد وفاة النبي ويوم بلغهم خبر وفاته

اشرنا في الفصول المتقدمة الى هذا العصر فاجملها وصفه ورجاله واتينا على ذكر بعض  
فتواته ، واقتضبنا ما ممكن عن التبسيط في كتاب صغير ، وفصل محدودة ، ذلك ان  
مثل هذا العصر يحتاج الى درس طويل ، وبحث جديد يتناول كل فروع السياسة والوان  
الحياة ، وقد نعود الى ذلك في كتاب قادم .

وقد رأينا ان لاندرس سيرة النبي العربي عليه السلام في هذا الكتاب لان المجال  
واسع والمقام جليل . ولا بد لدرسها من بحث وجوه ، ورأينا فوق ذلك ان تدرس  
سيرة النبي عليه السلام في كتاب خاص ، ككتاب الاستاذ الفلبيني والخياط وهي بين  
ايدي التلامذة في كثير من المدارس الوطنية .

يأبون دفع الزكاة، وكان ابو بكر قد ولى الخلافة وبايده المسلمون فعقد الالوية لقواعد من الصحابة فساروا وكان النصر حليفهم فدان العرب الشائزون للنظام ورجعوا عن فتنه لو توسعـت لقضـت على الامبراطورية العربية والدين الاسلامي

ولا جرم ان عصر الخلفاء الراشدين من اجمل عصور الاسلام واشدها وقعاً في النفس فقد كانت فيه الدولة العربية في قتوتها والدين في شبابه فكـنت ترى فيه مظاهر من التضـحـية، والوانـا من الاخـلاـص ان تراها في عـصـرـ من العـصـورـ ذـالـكـ انـ القـوـمـ فيـ ذـالـكـ الـعـهـدـ كـانـواـ زـاهـدـينـ فيـ ماـ سـوـىـ اـعـلـاـ شـأنـ الدـيـنـ وـرـفـعـ مـسـطـوـيـ الـأـمـةـ.

### ابو بكر الصديق

لقد كان ابو بكر اول الخلفاء الراشدين رأس الصحابة وشيخ المسلمين، وكان رجل حزم واخلاص وبعد نظر مثار في المسلمين سياسة وسطـاـ فـاعـطـىـ كلـ ذـيـ حقـ حـقـهـ، وـعـمـلـ عـلـىـ نـزـعـ الضـغـائـنـ فـوـلـيـ بـعـضاـ منـ آلـ سـفـيـانـ - وقد ذـهـبـ الاـسـلـامـ بـعـزـهـمـ فيـ الجـاهـلـيـةـ - قـيـادـةـ بعضـ الجـيـوشـ وـعـقـدـ الـبـعـوثـ لـغـيرـهـمـ منـ الـأـمـرـاءـ، فـكـانـ الـعـربـ فيـ خـلـافـتـهـ يـضـرـبـونـ عـلـىـ حدـودـ اـمـبـرـاطـورـيـاتـ الـتـارـيـخـ القـدـيمـ، فيـ الـعـرـاقـ عـلـىـ حدـودـ فـارـسـ، وـفـيـ الشـامـ عـلـىـ حدـودـ الـعـرـاقـ، وـكـانـ قـدـ كـتـبـ الىـ اـهـلـ مـكـةـ وـالـطـائـفـ وـالـيـمـنـ وـجـيـعـ الـعـربـ وـنـجـدـ وـالـحـجازـ يـسـتـفـزـهـمـ لـلـجـهـادـ فيـ الشـامـ وـيـرـغـبـهـمـ غـيـرـهـ وـفـيـ غـنـاثـ الـرـومـ فـسـارـعـ النـاسـ الـيـهـ بـيـنـ مـجـتـسـبـ وـطـامـعـ فـعـقـدـ ثـلـاثـةـ الـوـيـةـ لـثـلـاثـةـ رـجـالـ هـمـ يـزـيدـ

ابن أبي سفيان، وشرجيل بن حسنة وعمرو بن العاص وقد اتينا على وصف ذلك في القسم الاول من هذا الكتاب وذكراً كيف تقدم هؤلاء القواد الثلاثة الى حدود الروم يفتحون مدنها ويؤدون اهلها.

والىك وصية ابن بكر ليزيد بن ابي سفيان « لا تغدر ، ولا تتمثل ، ولا تقتل ، هرماً ولا امرأة ولا وليداً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً الا ما اكلتم ولا تحرقن نخلاً ولا تخر بن عامر أولاً تفل ولا تجني »

بيد ان جيوش الروم كانت كثيرة العدد فضاق المسلمين ذرعاً فكتب ابو بكر خالد بن الوليد وهو في العراق ان ينزل للشام فلما وصلها كان المسلمين يحاصرون بصرى فافتتحها على ان يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة

### العرب والروم

ولقد قاتل الروم العرب عن الشام قتالاً شديداً ، وكان العرب منقسمين على بعضهم بعضاً كل قائد لوحده وبفرده فوحد خالد بن الوليد جعهم وضمهم بعضهم الى بعض ونازل الروم في معركة اليرموك وهي اعظم معارك سوريا خطراً واجلها شأنها ، ودارت الدائرة فيها على الروم فقتل منهم الوف ، وحقت الغلبة للعرب فدانت لهم سوريا بعد الموقعة واخذوا بوضع النظام والامان لمن قدم الطاعة وقبل بالحكم الجديد .

وفتح عمرو بن العاص غزة ونابلس ورفح ويافا وغيرها من اعمال فلسطين وحاصر القدس حتى رضيت بالتسليم على يد عمر بن الخطاب نفسه وكان قد تولى الخلافة بعد وفاة ابو بكر فدانت بذلك سوريا

وفلسطين للعرب وامتد الحكم العربي منها الى انطاكية من اعمال الاناضول

ولقد يعجب القاري: وهو يتبع هذه الحروب والفتحات ان يتمكن العرب وهم اقل من اعدائهم عدداً وعددأً، وقد قطعوا صحراء الحجاز والشام على جاهم وخيوthem، وساروا في فلوات لا ماء فيها ولا مراعي لانعامهم، وكل ما لديهم من الملاديات قليل ضئيل، من الغلبة على الروم على كثرة جيوبهم ووفرة اسبابهم من المؤن والذخائر في ارض عاصمة هي وما وراءها الى ارض الروم والنجدات تأتיהם على ايسر سهل، ومع هذا فقد كثرت هزائمهم وعدقتلامهم بالالوف وقتل العرب بالملايين، أليس في ذلك دليلاً على القوة المعنوية الفياضة التي كانت في نفوس اولئك الغزاة من البدو، الشريف النفس، السامي الخلق.

وليس من شك في ان تأليف جيش الروم من الجنود المستأجرة دخلاً في المزيدة اضف الى ذلك ما كان فيه من الارمن والدخلاء، وقد ساعد العرب المتنصرة العرب المسلمين في هذه الحروب، فكانت النورة الجنسية اقوى من النورة الدينية ولا جرم ان هذه النورة العربية كانت عمومية يومئذ لافرق فيها بين عربي مسلم وعربي مسيحي، الا ان الاول حمل لوائها فتبنته الثاني بعد تردد قليل.

واغرب من كل ذلك ان يضيق العرب الفاتحون الى انتصارتهم العظيمة، شرف الخلق، وعظمة العواطف، وحلم القوي، فقد حفظوا النظام في البلاد المفتوحة وعملوا على استباب الامن فيها، وأمنوا

«المغلوبيين على اموالهم ونفوذهم وعيالهم واملاً كهم وفي ذلك مظاهر من  
اجل واسمى مظاهر النفس العربية .»

### ابو بكر و عمر بن الخطاب

توفي ابو بكر الصديق رضي الله عنه وليس في بيت المال الا دينار واحد سقط من غرارة ، واوصى قبل وفاته ان تباع ارض له وان يدفع ثمنها الى بيت مال المسلمين بدلاً من المدريجات القليلة التي تناولها منه وهو خليفة المسلمين وامير العرب وكان شأن خليفته عمر بن الخطاب -  
الخليفة الكبير الاعظم = مثراه في الزهد والورع وفي الشدة والمحاسبة على العمال والاصحاء ، حتى لقد استكثر خمساً هائلاً الف درهم حملت اليه من البحرين فقال حاملها « اتدري ما تقول ؟ » قال « نعم مائة الف خمس مرات » فصعد عمر المنبر وقال « ايها الناس قد جاءنا مال كثیر فان شئتم كلنا لكم كيلاً وان شئتم عدداً لكم عداً .»

فإذا عرفت ذلك فاذكر توسيع العمال بعد هذا العهد واستكثارهم من المال والثياب واعلم ان غلة عامل من عمالبني امية هو خالد القسري امير العراق بلغت ثلاثة عشر مليوناً من الدراهم ، وانه اهدى فيما يقول الرواة الى خليفته على الكوفة في ختان ابنته الف وصيف ووصيفة عدا الاموال والثياب وفكرا في ما ينتجه كثرة المال ، من تطور في معيشة القوم وفي نظرهم الى الحياة ، وما يستتبع ذلك من تطور الاخلاق والحياة الاجتماعية .

الفتنة في الاسلام

توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتنفس المسلمون الصعداء ، ذلك انه كان رجلاً شديداً ضيق على قريش انفاسها فلم ينل احد معه من الدنيا شيئاً اعظم مما له واجلاً وتأسياً به واقتداءً فلما ولهم عثمان بن عفان وكان رجل لين انصرفوا الى الدنيا بمحمدون خبراتها ، وانصرفوا الى السياسة يتحدثون بها ، وانصرفوا الى الفتنة يستعدون لها .

ولقد كان الناس في خلافة عثمان بن عفان احد ثلاثة محافظ وهم الزهاد والتقشفون ومتطرفون وهم التعميون واصحاب المطامع . ومتعدلون وهم الذين كانوا بين بين ، فالاول نقم على عثمان ان يترك سياسة الشدة الى الذين ، والثاني غضب عليه ان يوليبني امية كبار المناصب ، وان يغض عنهم وعن سياستهم احياناً والثالث اعتزل الجماعتين وترك لهم الحبل على الغارب فكان حتى وحالته هذه ان تنشب الفتنة بين المحافظ والمتطرف وان يكون وقودها المسلمين انفسهم .

ولعل اكثر ما تجذع له النفس ويدمى له الفؤاد انصراف المسلمين في هذا العهد والذي يليه عن محاربة العدو الى مقاتلة بعضهم ببعض ، وليس يدرك فضل الخليفتين ابي بكر وعمر على الدولة الاسلامية الا من درس التاريخ الاسلامي وعرف ما كان يهدد الاسلام من الانحراف لولا قضاء الخلفاء على دولتي فارس والروم ، فلو حدثت هذه الفتنة ، وفارس والروم اقويا ، على حدود الاسلام والعربية لزحفت جيوشهما على العربية حتى ولكان للتاريخ حديث جديده ، وللجزيرة العربية غير هذا التاريخ المجيد .

## الفصل السادس والعشرون

### الدولة الاموية الصریفة

الجامعة العربية، هاشم وامية، معاوية بن ابي سفيان، الحجاج بن يوسف، سراسقبني امية، اشهر خلفاء بني امية، معاوية وعبد الله، وهشام، انهيار الدولة الاموية، اسباب السقوط

كان العرب قبل الاسلام يتفاوضون بالعصبية ويتفاخرون بالأنساب فلما جاء الاسلام كان من جهة ما بدأه من احوالهم انه جمع كل ممثتهم واصبحوا يدأ واحدة على اختلاف انساهم ومواطنهم، وكانت الجامعة الاسلامية ايام الخلفاء الراشدين ولكنهم كانوا يجعلون للعرب ميزة على من سواهم من الامم لانهم قوم الاسلام. وقد حرض عمر بن الخطاب العرب على فتح الشام والعراق توسيعاً للجامعة العربية وللاستعانة بهم على الفرس والروم وكانت سياسته في اوائل دولته تقضي ببقاء العرب مخصوصين في جزيرة العرب وما يليها من الشام وال伊拉克، ولم يكن في عصر الخلفاء الراشدين سياسة امل كان هناك دولة دينية وخلافة اسلامية اساس احكامها التقوى والرفق والعدل، بيد ان هذه السياسة لم تكن

ما يلام العمran ودوح الجماعات فكان لا بد لها من الوقوف عند حد ان عاجلاً وان آجلاً وكان ذلك الحد قيام دولة عربية جديدة وهي دولة الامويين في مشارف الشام

## هاشم وامية

ولقد كان بنو امية كما قدمتنا يتحينون الفرص وينظرون الى ما ناله بنو هاشم من جاه وسلطان نظر الحاصل الغاضب فلما وني الخلافة عثمان بن عفان وهو من امية ؛ وكان ضيقاً في ادارته ليناً في سياساته تغلب بنو امية على ارادته وتولوا الاعمال في عهده واستأثروا بالاموال . فكان ذلك من الاسباب التي حملت العرب على التنقيمة عليه وقتله ، ورأى رأس الامويين معاوية بن ابي سفيان في مقتله ذريعة للوصول الى السلطة فسمى نحوها وتم له ما أراده فبایعه الحسن بن علي بعد مقتل والده ودانت الاقطان العربية الاسلامية لسلطان معاوية وسلطان الامويين .<sup>(١)</sup>

(١) ظهر بنو امية على العرب وتغلبوا على الخلافة، واخذ آل علي بن ابي طالب يطالبون بها ويسعون في ادارتها ، وابن من طلبها بعد علی ابنته الحسن ثم تنازل عنها معاوية سنة ٤١ هجرية فقضب اشیاع الماويين في المدينة وال العراق والكوفة ، وكان امير الكوفة يومئذ زياد بن ابیه وهو من دهاء العرب فشدد في اخراج الثورة وقتل جماعة من المحرضين . وترى صاحب الموسوعة الان ينتظرون موته معاوية لعل انتخاب الامة يقع على واحد من ابنائه فترجع الخلافة الى اهل البيت ، ولم يخطر لهم ان يبايع معاوية لابنه ، فلما علموا ببيعته نقموا عليه وزادهم نقمـة ما علـموه من تهـتك ابـنه وقـصـفـه واسـتعـالـه بالـصـيدـ عنـ امورـ الخـلـافـةـ ، وكان اوجـهـ المـاوـيـينـ يومـئـذـ الحـسـنـ بنـ عـلـيـ فـلـماـ مـاتـ مـعاـوـيـةـ سنـةـ ٦٠ـ هـ وـ تـرـىـ اـبـنـهـ يـزـيدـ ، اـبـنـ اـبـيـ الحـسـنـ انـ يـبـاـعـهـ وـ فـرـ الىـ مـكـةـ وـ اـكـثـرـ شـيـعـتـهـ فـ كـتـبـواـ اليـهـ

معاوية بن أبي سفيان

وكان معاوية من دهاء العرب واسع الصدر، عظيم الدها، وافر العقل، فكان يغض عن مطاعن اعدائه عليه رغبة منه في اصطناعهم واجتذابهم إلى سياسته وقد يتألفهم بالعطاء، يستهوي بذلك قلب عدوه وله في ذلك نوادر كثيرة منها ان عقيلاً اخا علي بن ابي طالب وفدى على معاوية وعلى لايزال حياً فرحب به معاويه وسر بزيارتة فقال له معاوية «كيف تركت علياً» فقال «تركته على ما يجب الله ورسوله والفتات على ما يكره الله ورسوله» فقال معاوية «لولا انك زائر منتجع جذابنا لرددت عليك جواباً تألم منه»، ثم احب معاويه ان يقطع الحديث مخافة ان يأتي بشيء يسوئه فترك مجلسه بعد ان امر له بمال عظيم».

وحضره على القديم لينصروه فاطاعهم ولما اقترب من الكوفة قدموا عن نصرته، وبرث امير الكوفة عبد الله بن زياد جنداً لمحاربته فدافع عن نفسه واهله حتى قتل قاتله المشهورة يوم عاشوراء من سنة ٦١ هجرية في كربلا، ثم ندم انصاره وشيعته على قعودهم عن نصرته فخرجوا بدعوة يزيد وبيعة مروان بن الحكم سنة ٦٤ يطأبون بدمه وسموا انفسهم التوابين وامير الكوفة لايزال عبد الله بن زياد فاخر جهودها وولوا عليهم رجالاً منهم فتغلب بن زياد عليه، وظهرر الان المختار بن عبيد وكان على الهمة فجاء الكوفة يطالب بدم الحسين ويدعوا الى بيعة محمد بن الحنفية اخي الحسن من ابيه فتبعة على ذلك جماعة من الشيعة ساهم (شرطة الله) وزحف بهم على ابن زياد فهزمه وقتلهم ثم اخذ يطارد قتلة الحسين واحد بعد اخر حتى افني اكثراهم.

ولكن محمد بن الحنفية ابي ان يتزل الى هذا المفترك السياسي فتبراً من المختار فحوال المختار دعوته الى عبد الله بن الزبير وكان هذا يطالب بالخلافة وقد تصن في مكة ولكن ابن الزبير لم يستسلم له ولم يشن بدعوته وارسل اخاه مصعباً الى الكوفة سنة ٦٧

وقد تمكن معاوية بالدهاء وحسن السياسة من الوصول الى الخلافة وجعلها ملكاً عضوضاً يتوارثه ابناءه من بعده، ولكنه لم يستطع قطع شأفة المقاومين من طلاب الخلافة وهم كثيرون اهتموا اولاد علي، على انه كان يسكنهم بالمسالمة والبذل فكانوا يسكنون الى سياساته رجاء انتقال الخلافة اليهم بعد موته، فلما نقلها الى يزيد ثاروا جميعاً فاجتمع اربعة الوية في عرفات سنة ٦٨ هجرية كل منها لزعيم يدعى الخلافة، الواحد بنى امية، والاخر للعلويين باسم محمد بن الحنفية والثالث عبد الله بن الزبير والرابع لنجدية الحروري من الخوارج.<sup>(١)</sup> ولقد عمت الثورات العالم العربي الاسلامي بعد وفاة معاوية فشارت المدينة، وثارت مكة، وثار الحسين،

في حربه واهلك شيعته.

ولقد انقسمت الشيعة العلوية بعد مقتل الحسين الى فرقتين احداهما تقول ان الحق بالخلافة لولد علي من فاطمة بنت النبي، والاخرى تقول بتوحدها بعد الحسن والحسين الى اخיהם محمد بن الحنفية وهي الفرقة الكيسانية، وال الاولى اكثر ظهوراً، واوفر رجالاً وقد بايعوا بعد وفاة الحسين عليه المعروف بزبن العابدين وتسللت الخلافة بعده في اعقابه حتى صار الامنة ١٢ اماماً وكان بنو امية كما قدمنا اذا سمعوا بظهور احد دعاة الاموية بذلوا جدهم في اهلاكه فلاقى الماويون في ايامهم خنكاً شديداً.

(١) يقع القاريء على اسم الخوارج بين حين وآخر في تاريخ الاسلام منذ خلافة الامام علي حتى انحدار الدولة الاموية، فمنهم الخوارج، وما شأنهم وبدرتهم في الاسلام، لما ولـيـ الخلافة الامام علي راعـتـهم معاـويـةـ منه باهل الشـامـ، وـلمـ يـتـقدـمـ الىـ مـبـاـعـتـهـ اـسـوـةـ بالـمـسـلـمـينـ جـنـدـ عـلـيـ عـلـيـهـ الجـنـدـ، وـتـقـدـمـ مـعـاوـيـةـ بـدـورـهـ معـ رـجـالـهـ منـ اـهـلـ الشـامـ فـتـقـزـلـاـ فيـ صـدـنـ وـكـادـ يـنـهـزـمـ مـعـاوـيـةـ فـتـذـارـ كـهـ عمـروـ بـنـ العاصـ بـخـدـيـعـتـهـ المـاـذـةـ وهـيـ انـ يـرـفعـ

وثار ابن الزبير وتابعه العراق فلم يرق لخلافه معاوية من سلطان الا في القطر السوري ومصر .

فلا تولى عبد الملك بن مروان الخلافة كان العالم الاسلامي في حالة خطيرة من الفوضى والاضطراب

الحجاج بن يوسف

وكان عبد الملك داهية حازماً عجم رجاله ، فوجد الحجاج اصلبهم عوداً فارسله الى العراق ، وهو مهد الثوره ومرکز الدعایة السياسية ضد الامويين ، واطلق يده في الحكم بعد ان هزم مصعب ابن الزبير في معركة فاصلة ، وكان الحجاج من رجال العرب واسدائهم قسطاً على العراق بكل ما اتي من قوة ودها ، وطنى في تحكمه فارهباً الناس فكان

الجند المصاحف على اطراف الرماح وان يدعوا علياً الى التحالف اليه . وبقدر قوة الشاميين السياسية كان ضعف العراقيين . فتصحهم علي وبين لهم انهما شر لهم فلم يستبدلا نصحه وجازت عليهم الحيلة وارغعوا علياً على قبول التحكيم وتفويض ابي موسى الاشعري فرضيه ورضي ابا موسى مرجحاً . هنا ظهرت جماعة قادرة نقضت ما ابرمه بالامس وانكرت على علي قبول التحكيم . وظلا نازرين عليه وحاربوه وحاربوا اخلاقه من بعده . وتلاؤنا بالوان دينية مختلفة . فهو لا هم الخوارج في الاسلام . واما من يتي مع علي فهم شيعته .

كيف ثار الخوارج ولم ثاروا ؟ - كان تزاع بين المضرية والجائنية وخلاف بين اهل العراق واهل الشام . وكانت نفوس موغرة الصدر من قريش وقد زادت عدداً وايغاراً بعد عيّان . وباولي علي الخلافة فت في خذلها خروج طائحة والزبير وعائشة ومعاوية عليه . و اذا نظرنا الى اهل العراق الذين هم نصاراء علي رأينا فيهم صفات لاتدعوا الى المذاقة اليهم . فقد كان في البصرة رجال قاتلوا علياً في صفوف عائشة . وبالكونفة رجال لا يزال

يعاقب على الشك ويقتل على البدلة الصغير فدان العراقيون رهبة وخوفاً لسلطان بنى امية، ولما استوثق الحجاج من العراق سار نحو مكة فلتحماً ونصب عليها المنجنيق وأطلق ناره على استار الكعبة فحرقها ولما افتتحها عنوة قتل عبدالله ابن الزبير واحتز رأسه بـ الكعبة حرم لا يجوز القتال فيه مما لم يحدث مثله في الاسلام، ذلك ان سلطان بنى امية لم يكن يقوم في ذلك العهد الا على الشدة والقسوة، فقد ثارت العرب عليهم من كل جانب وليس يدفع مثل هذا التيار الجارف الا السيف والنار.

## سياسة بنى امية

وقد كان الحجاج أشد عمال بنى امية وطأة، واكثرهم بطشاً، وقد

الحق يغلي في صدورهم على عيالن وقد قتلوه حقاً على قريش واستبداد ولاتها، ثم ذلك التغور بين البصرة والكرفة، ثم هرولا، الاعراب الجافي الطباع الذين ملؤوا اصقاع العراق، ثم قرب العراق للقرس سابق حكمهم له مما جعله اول اقليم تعيل فيه دسائسهم - كل هذه الامور ثبتت الروح المعنوية والسياسية التي تربط العراقيين وتثبت ان الثورة كانت واقعة حتى . اما وقد ثار الخوارج فثورتهم راجعة الى ما اشربوا من شك وما اعتادوه من تردد وما حجب اليهم من نزاع . ثاروا ولكن من ثورتهم؟ العلي وقد جفوه؟ ام لمعاوية وهو عدوهم الاول؟ جفا كل النريقين وما الفريقيان إلا ولاة الامر من قريش فهم ناثرون على قريش وساخطون على الخلافة من اجل قريش لأنها لم تحسن في استبارهم التصرف بها بل دب التزاع على جهتين : قريش والخلافة . وكان التراجم كله على تلكها، اذا كانت ثورة الخوارج على جهةين : قريش والخلافة . ولذلك نتيجتان : فقتلهم لقريش جعلهم ينادون بـ ان الخلافة مصلحة عامة يليها اي امريء صالح لها ولو كان عبداً جليشاً . ومقتهم للخلافة جعلهم ينفرون منها التغور كله ويرعون في وجودها ضرراً وشرأً

اعانته شدة عبد الملك بن مروان على المبالغة في الشدة فاذكر ذلك المسلمين ونقوموا على الدولة وكثير الخارجون عليهم ، واخذ غيرهم بالتأمر سرًا لا جهرًا ، ذلك كان حال دعاء العلوين ودعاة العباسين ، ولما كانت سياسة بنى امية عربية فقد نقم عليها الموالي وكان الخلفاء يستخدمونهم في الحروب مشاة ولا يعطونهم عطا ، ولا شيئاً من الغنائم ، والموالي رقيق اعتقد لما كانت الفتوحات العربية تحمل الى بلاط الخلفاء كثيراً من هؤلاء فقد كانوا يفرقونهم على بطانتهم وانسبائهم وهؤلاء يستخدمونهم في مصالحهم الصناعية والزراعية والدينية والعلمية ، واشتبثوا بهم بالرئاسة والسياسة ولذلك كان اكثرا القراء والمعزين والكتاب والمحجوب وعامة الناس من الموالي ، ولقد انجب الموالي وتودوا وكثر عددهم وكانت اينفرون من بنى امية لتعصبهم فاصبحوا عوناً لكل من خلع الطاعة او طلب الخلافة من العلوين والخوارج ، وكل من قام بخاربة الامويين استعان عليهم بالموالي والعبيد وهم الفئة المظلومة ، واشهر من استخدمهم المختار بن عبيدة الذي قام في العراق للمطالبة بدم الحسين سنة ٦٦ هجرية ثم طلب الخلافة لحمد بن الخفية فقد اطمع موالي العراق بالقيمة واركبهم على الدواب وكانت ناقين على اسيادهم لسوء معاملتهم فيجاؤوه متظوعين ، فكان عدد الموالي في جند المختار اضعاف عدد الاحرار وقد ابلوا في الحرب معه احسن البلاء نفقة منهم على اسيادهم ، ورغبة منهم في التحرر من العبودية ، وطبعاً بما قدمه لهم المختار من وعد ، وبما اطعمهم به من جراء .

ولقد كان الاسلام يرفع منزلة الموالي واما الامويون فذهبوا الى

تحقيقه لانه غير عربي وشاع ذلك في ايامهم واصبح الناس يعبرون بعصرها المعاصر. والخلاصة ان تهتم ببني امية لعرب جرهم الى تحقيق غير العرب وخصوصاً الموالي فنتم هؤلاء عليهم وكانوا من اكبر المساعدين في اخراج الدولة من ايديهم .

كانت دولة بنى امية دولة عربية اساس سياستها طلب السلطة والتغلب على مزاجها فاستعان اصحابها على ذلك بالفصبية القرشية واصطناع الاحزاب فجرتهم هذه العصبة الى انقسام العرب كما كانوا في الجاهلية فكان هناك حرب عوan بين القيسية والمضرية<sup>٤</sup>، والقيسية انصار الامويين والمضرية انصار العلوين<sup>٥</sup>، وبالغوا في التهكم للعرب وامتهان غير العرب من الموالي واعوزهم اصطناع الاحزاب الى الاستكثار من الاموال لانفاقها في اجتذاب الرجال<sup>٦</sup>، والاستكثار منها يعدهم على الشدة في تحصيلها فكان ذلك من الاسباب التي عملت على ترقق سلطانهم .

## أشهور خلفاء بنى امية

والفضل في ثبات دولتهم ثلاثة من خلفائهم اشتهروا بالدهاء والسياسة والتدبر حكم كل منهم نحواً من عشرين سنة وهم معاوية ابن ابي سفيان (٤١ - ٦٠ هـ) وعبد الملك مروان (٦٥ - ١٨٦) وهشام ابن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥)

واما عمر بن عبد العزيز فقد كان اصدقهم دينياً واكثرهم صلاحاً ولو لا هؤلاء الثلاثة لذهب ملك بنى امية في اقل من مائة سنة . فقد تداول على كرسي الخلافة كثير من الضعفاء وارباب الترف وليس

تقوم المالك بـشل هؤلاء بل هي لفي عوز الى رجال صلاب العود  
وافري العقل كثيري الدهاء

معاوية بن أبي سفيان

ولم يكن معاوية رجل سياسة ودهاء، وحلم فحسب وإنما كان  
فاتحاً أيضاً فما يحب أن يذكر له أنه مع اشتغال ذهنه بالملك وتبنيت  
الملك لم يغفل قط عن إنشاء اسمطول عظيم غزا به الروم والقسطنطية  
غير مرة وافتتح أر棹اد وقبرص وروتس وغيرها من الجزائر وجعل  
محطات عسكرية لاسطوله وقسم من جنده

ولقد تعددت وقائمه مع الروم وكان في أكثرها ظافراً ومن أهم  
ما حدث في أواخر أيامه أن الروم ركبوا السفن للسنة السابعة من  
خلافته واتوا ساحل صور وصيدا - فاستولوا على جبل لبنان  
وانشروا من جبل الجليل إلى جبل الأسود وكان الناس يسمونهم  
الجراجي ويسماهم بعضهم المردة ارسلهم قسطنطين ملك الروم ليشغلوا  
العرب عن الغزو ، وقد ظل هؤلاء في البلاد حتى أخرجهم منها  
عبد الملك بن مروان

وفي سنة <sup>٤٣</sup> هجرية سير معاوية جيشاً كثيفاً مع سفيان بن عوف  
إلى القسطنطية فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطية وتوفي في  
مدة الحصار أبو أيوب الانصاري الصحابي ودفن بالقرب من سورها  
ولقد توفي معاوية سنة ٦٠ بعد ان وطأ أكتاف الملك وابتكر  
في الدولة أشياء لم يسبقها أحد إليها ، منها انه أول من وضع الخصم

للملاوئ ورفع الحراب والسيوف بين ايديهم ، ووضع المقصورة التي يصلي بها الخليفة منفردا عن الناس في المسجد ، وهو اول من وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة واخترع من امور الملك ديوان الخاتم ، واستخدم المسيحيين في مناصب الدولة فعهد بنظارة المالية الى منصور وسرجون من نصارى العرب السوريين

## عبد الملك بن مروان

اما عبد الملك بن مروان فكان اشدبني امية حزما وبطشا استخلص العراق من شيعة علي وكان المختار بن عبيدة قد تار فيه مناديا بالخلافة لآل البيت ، ولما كان عبد الله بن الزبير ثائراً عككة وقد بويع بالخلافة فقد منع عبد الملك اهل الشام من الحج وسب ذلك ابن الزبير كان يأخذهم بالبيعة اذا حجوا ، ويقولون انه اسر الناس بالحج الى بيت المقدس حيث الصخرة في المسجد الاقصى

ومن الاحداث في عهده تجهيز يوحنا امير جبل لبنان اثني عشر الف فارس وذهابه الى البقاع وزواله في قب الياس ، وغزوه الجبل الشرقي وشن القارات على الحجاج وساعدته الروم فامدوه بالجندي فاضطر عبد الملك الى تجديد المدنه مع الروم ريثما يتفرغ لهم من مشاغله الداخلية وذلك على ان يدفع لملك الروم كل يوم الف دينار وفرساً ومملوكاً ويقاسمه على مخرج قبرص وارمنيه على شرط ان يخرج اللبنانيين من جبلهم فاجابه ملك الروم الى ذلك ولقب اللبنانيون بالمردہ لأنهم ادوا الخروج من الجبل وعصوا امر ملك الروم

بيد ان عبد الملك عاد فقاتل المردة واجبرهم على التفرق والسكنى  
في بلاد الشام، ثم استعان بهم المسامون في حروب كثيرة في ايام  
الامويين والعباسيين

وكان عبد الملك من الحزم وسعة الصدر وجمال العلم والادب  
على جانب عظيم وكان يعد من فقهاء المدينة وفي ايامه حولت الدواوين  
إلى العربية وفي عهده نقشت الدنانير والدرارهم بالعربية وهو ازل من  
نهى الكلام بحضورة الخلفاء وكان الناس قبل ذلك يراجعونهم  
ويعارضونهم

وتولى الخلافة بعده اربعة من اولاده اولهم الوليد بن عبد الملك  
وكان اياه من ابرك ايات بني امية عمر الجوامع العظام وكتب الى  
الامصار بتوسيع المساجد والزيادة فيها وتسهيل الطرق وبث في الامة  
روح العمran

وقد بلغ بنو امية في زمانه اقصى درجات عزهم ففتحت  
البلاد وتغلبت جيوشه في بلاد الترك والمندروروم وفتحت  
الأندلس وجاءه موسى بن نصير فاتحها إلى دمشق يضع بين يديه  
الاموال والجواهر ويعرض امامته ابناء ملوك البربر والجزائر  
والاسبان والافرنج بتبيحائهم وهم اسرى  
وبعث الوليد اخاه مسلمة لغزو الروم فقتل منهم اربعين الفاً

هشام بن عبد الملك

تولى الخلافة هشام بن عبد الملك وهو عاشر بني امية وكان يحب

جمع المال وعمارة الارض واصطدام الرجال ونقوية النور واقامة  
البرك وآتني في طريق مكة وخرج عليه غير واحد يطالبون بالملائمة  
لبني هاشم فقاتهم وکان هشام من اهزم بني امية غزا الروم مرات  
وامر قسطنطين ماکم وحارب الترك وتوفي سنة ١٢٥

انهيار الدولة الاموية

للملاك اعيار كما للافراد ومالك بني امية لم يطل اکثر من ١٢٠ سنة  
ودولة بني امية عربية صرفة كاقدمنا، سارت مع المدنية اشواطاً مع  
اشتة الها بالفتح وقيام الخارجين عليها وقد فتحت على خلفائها الاقطار  
فنشروا الدين والاسلام واللغة فيها، ووضعوا اسس النظام في الملاك التي  
دواخوها وعرفوا ما يصلحها، وكانت ادارتهم اشبه بالامر کزية في عهدها  
يعثون بالعامل فيجعل المسائل باجتهاده على رأي اهل الشرف والمكانة في  
القطر الذي يتولاه ولا يغواض مقر الخلافة الا في اعوچ الامور . وقد  
نصب عام الامويين الابيض في المشارق والمغارب، نصب في بیکین  
عاصمة الصين، كما نصب في بواتيه جنوبي فرنسا . ولقد نبغ في ایامهم  
قواد عظام دعوا الملاك بجيوش قليلة مثل موسى بن نصیر وطارق بن  
زياد وقيبة بن مسلم وعقبة بن نافع الفهري ومسلمة بن عبد الملاك وکثيرون  
غيرهم ونبغ في ایامهم شعراً عظاماً مثال الفرزدق وجربه والاخطل وبشار  
بن برد وعلاء اعلام في الادب والتاريخ وغير ذلك .

أسباب السقوط

ولقد سقطت دولتهم امام الدولة العباسية لأسباب تقدمنا بالكلام

عنها وستتكلم عن سواها في الفصل الذي يليه ولما سئل احد شيوخهم  
عن اسباب زوال ملکهم قال :

«جار عمالنا على رعيتنا فتمنوا الراحة منا ، وتحومل على اهل  
خارجنا فجلوا عنا ، وخربت ضياعنا فخررت بيوت اموالنا ، ووثقنا  
بوزرائنا فآثر امرافقهم على منافعنا ، وامضوا اموراً دوننا اخفوا علمنا  
عنا ، وتأخر عطاهم جندنا فزالت طاعتهم لنا ، واستدعاهم عدونا فظافروه  
على سرينا ، وطلبنا اعداءنا فعجزنا عنهم لقلة انصارنا ، وكان استئثار  
الاخبار عنا من او كد اسباب لزوال ملکنا »

## الفصل السابع والعشرون

### العباسيون في بغداد

الدولة العباسية والخلافة العباسية ، انتشار ملک بنى امية  
سياسة الدولة العباسية ، اسباب السقوط  
سوريا في عهد العباسين

### الدعوة العباسية والخلافة العباسية

كان بنو العباس ، وهم ابناء عم النبي من جملة المطالبين بالخلافة ،  
ولكنهم كانوا لا يتصدرون لطلبهما والامويون في ابان دولتهم مكتفين  
بالدعایة الى انفسهم سراً ، وكان العلويون والعباسيون في ایام ضيقهم

واضطهادهم يتقاربون لأنهم من بني هاشم وكلا الرهطين اعداء بني امية من قبل الاسلام .

وخلال العباسيون يستترون في دعوتهم وهم يقيمون في الحميمة من اعمال البلقاء بالشام حتى ضعف شأن بني امية فهموا بالنهوض ، واتفق في اثناء ذلك ان الفرقة الكيسانية وهم دعاة ابن الحنفية صارت دعوتها بعده الى ابنته اي هاشم وكان ابو هاشم هذا ي Ferdinand على خلفاً، بني امية من المدينة الى الشام فيمر اثناء الطريق بالحاججه ، في بعض وفاته على هاشم بن عبد الملك آنس هاشم منه فصاحة وقوة وميلاً الى الرئاسة مع علمه بطعمه بالخلافة ، فاوجلس منه شرأ ويقولون انه دس اليه من سمه ، فشعر ابو هاشم بدلو اجله وهو في بعض الطريق فخرج الى الحميمة وصاحب الدعوة العباسية يومئذ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فنزل عنده وما احس بدنو الاجل خاف ضياع البيعة وهو بعيد عن اهله فاوحي الى محمد المذكور بالخلافة بعده ، فلما مات ابو هاشم تهوس محمد بالخلافة وايقن بالنجاح لانه اكتسب حزب الكيسانية جيماً فأخذ في بيت الدعوة شرأ ثم توفي وقد اوصى بالخلافة بعده الى ابنته ابراهيم وهو المعروف بالامام . اخذ ابراهيم الامام في بيت دعاته وبدأ بخراسان لتوقه من اهله اكثراً من كل الامصار ولأن اكثير اتباع الشيعة الكيسانية في خراسان والعراق وقد نصرها العلوين مراراً فانفرد اليهم دعاة الكيسانية الذين كانوا مع اي هاشم او صاحبهم ان يطلبوا بيعة الناس باسم آل محمد ولم يعين احداً من العباسيين او العلوين ؟ و كان الخراسانيون قد ملأوا الدولة

الاموية فهان عليهم ان يعتصموا الدعوة الجديدة عليهم بجذون فيها خيراً، وتوافق ابراهيم الامام في اثناء ذلك الى ابي مسلم الحراساني القائد المشهور فاتم امرهم وسلم لهم الخلافة والملك.

## انتشار الملاك

وكان ملك الامويين مضطرباً في ايام آخر خلفائه عروان بن محمد وكانت اعراض الانحلال تظهر بسرعة فيزداد اعد الامويين قوة وجرأة ولما بوى بالخلافة لابي العباس بالكونفنة كانت جيوش العباسيين تطارد الامويين مطاردة وينتشر سلك الملك سلسلة بعد سلسلة بصورة سريعة ولم يكدر العراق يدخل في طاعة العباسيين حتى ارسل ابو العباس عممه عبد الله بن علي الى الشام فافتتح دمشق سنة ١٢٣ واباحها لجنده ثلاثة ساعات وقيل انها ثلاثة ايام ووضع السيف في اهلها ونبشت قبور بعض الامويين ولم يبقوا على غير قبر عمر بن عبدالعزيز اعترافاً بفضله وتقواه ، ونفخوا سور دمشق حبراً حبراً.

## اللبنانيون وثوراتهم

وفي سنة ١٣٥ نزع اللبنانيون الطاعة وهبوا البقاع فنهبوا فجاجتهم الاصحاص وقتلوا زعيمهم الياس العباسية من دمشق وقتلت زعيمهم الياس القيسية والقبائل اليمنية وكان يحدث كثيراً ان يقوم احد الامويين مطابقاً بالخلافة تائراً على العباسيين فياته اهل الشام ويختارون معه ، والظاهر ان اهل الشام بعد سقوط الامويين ندموا على تلكنهم عن المساعدة والذود عن الدولة ، فأحبوا ان يردوا ما وقع ، فكان ما كان من كثرة الاختطارات .

سياسة الدولة العباسية

قامت الدولة العباسية بالفرس وغيرهم من الرعاعي وفيم الموالى واهل الذمة وما قبض العباسيون على ازمة الملك جعلوا عاصمة ملكهم بین شيعتهم في العراق فاقاموا اولاً بالكوفة ثم في الماشمية حتى بني المنصور مدينة بغداد على دجلة فجعلوها دار الخلافة وقربوا الموالى الفرس خصوصاً اهل خراسان فجعلواهم بطانتهم ورجال دولتهم ولا سيما الذين حاربوا مع ابي مسلم في طاب الخلافة لهم ، واشهرهم خالد بن برمك جد الوزارة البرامكة وكان عاقلاً حازماً فلم يجعل للعباسيين محلاً للشك في صداقته فقربوه واول من استوزره ابو العباس السفاح اول الخلفاء العباسيين ثم قواه المنصور وتولت الوزارة في اعقابه الى يحيى ابنه فجعفر ابن ابيه وهو الذي نَكَبَ البرامكة على عهده

ولكن العرب لم يكونوا يقبلوا بذلك ولا كان هذا مما يرضيهم وكانتوا يستغربون اذا جاءوا مجلس الخليفة ان يروا الخراسانيين يذهبون ويجيئون ويدخلون على الخليفة كائناً من اهله والعرب يقفون ببابه لا يؤذن لاحدهم الا بشقة وبعد انتظار طويلاً

وكان المهدى ابن المنصور اذا اراد الشورى جمع خاصته للمداولة واول من يتكلم منهم الموالى فاصبحت بطانة الخليفة ورجال دولته وخاصة حكومته من الموالى الفرس واشتهر منهم بيروتات بالوزارة والولایة كالبرمك وال وهب وال سهل وال طاهر وغيرهم فكان رجالات العرب من بطانة الخليفة يكيدون لمناظرهم من رجال فارس

حتى تم لهم الامر في عهد الرشيد وبطش يومئذ بالبرامكة فاهالك رجالهم وحجز اموالهم وكان ذلك من الاسباب التي حملت الفرس على النكمة على العباسيين ودولتهم وعلى الانتصار للامون ضد اخيه الامين لأن والدة المأمون فارسية ووالدة الامين عربية

واخذ ائتلافاً بعد الرشيد والمأمون بالاستكثار من الموالي الترك وكانت بلاد الترك في ذلك الحين يعبرون عنها بما وراء النهر فلما فتح المسلمون بخار او سمرقند وفرغانة واستر وسنه وغيرها من تركستان في ايام بني امية وجاءت الدولة العباسية وجذبهم يؤدون الجزية والخارج وكانوا يحملون في جلة الجزية اولاداً من اهل بادية تركستان ييعونهم بيع الرقيق وهم في الغالب من السبي او الاسرى وكان هؤلاً يتفرقون في بلاط الخلفاء ومنازل الامراء ويدينون بالاسلام وكانوا يتزارون بقوه الجسم والشجاعة والمهارة في رمي النشاب والصبر على الاسفار واول من استخدم الاتراك في الجنديه من الخلفاء المنصور العباسي ولكتهم كانوا في عهده شرذمة صفيرة وافاً كان الشأن الاكبر لجندي العرب وجندي خراسان فلما تولى المعتصم الخليفة وكانت امه تركية رأى ان يتقوى الاتراك فجعل بتخدير منهم الاشداء يتعاهد بهم بالمال من اموالهم بالعراق ويبعث في طلبهم من تركستان حتى اجتمع عنده منهم عدة الاف فالبعض لهم لباساً خاصاً وميزهم عن سائر الجنود واستجلب المعتصم بعض امرائهم ورجالاتهم من بلادهم وحسن لهم الاقامة عنده وبين لهم مدينة خاصة (سامرا) اقطع لهم فيها الارض وجعلها عاصمة الدولة العباسية

ولقد اشتد ساعد الاتراك بعده وغلبوا على امور الدولة واخذوا يعملون على ابتزاز الاموال وكانت الدولة قد تجاوزت طور الشباب واخذت بالتقهقر وانغمس الخلفاء بالترف والقصف وعجزوا عن القيام بشؤون الحكومة فاصبحوا لا يبلغون منصب الخلافة الا بالجند التركي وهو لا لا يعملون عملا الا بالمال فن استطاع استخدام الجند ملك وليس هناك عصبية ولا جنسية ولا جامعة دينيه ولا وطنية . واصبح البطش والفتوك محور هذه الحركة اما استبدادهم في بلاط الخلفاء فابتداً في ايام المتوكل لانه لما تولى الخلافة سنة ٢٣٢ هـ وكان يكره الشيعة وهم جند خراسان اغرق في تقديم الاتراك ورعايتهم ، ثم اغراهم ابنه المنتصر ( او هم اغروه ) على قتلهم فقتلواه وكان ذلك اول جرائهم على الخلفاء . ولم تطل مدة المنتصر بعده الا اشهر ثم هلك ، فقام بالامر بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ثم المعذري بالله سنة ٢٥١ هـ وقد استفحلا امر الاتراك استفحلا عظيما في هذه الفترة فقتلوا المعذري شر قتلة وسموا عيني المستكفي وجبوه حتى توفي في حبسه

### أسباب السقوط

ذلك كان شأنهم حتى انهيار الدولة العباسية وسقوط بغداد ، ونحن نعتقد ان دخول الترك في الدولة كان من اعظم الاسباب التي ذهبت بالدولة العباسية فقد اصبحت الخلافة بواسطتهم اسمية دينية فقط لا تبعدي قرى بغداد الا قليلا ، وغدا الحكم الفصل من قويته شكيته من الدخلاء ، وبعد ان كانت بغداد ترسل الى الشام اولاد خلفائها واعظم قوادها اصبحت ترسل اليها افريدون التركى وخاقان التركى ومحمد المولد من الموالي وظهر الفرق في الحكم لأن الحكم كان فرديا لا شوري فإذا لم يكن

الحاكم او المايل غاية في الشرف والعلم والادب فهناك الفوضى والاستبداد وظلم الرعية ولقد افضي هذا التساهل مع الاعاجم والاعتداد عليهم الى جر البلاء على الحالـنـفـ من بني العباس والى تفرق الدول الاسلامية ، وبعد ان كان العرب اصحاب الدولة اصبحت ابواب تفتح لكل دخيل عليهم ولم يعد حكم لقين ولا لمضر وين بل للاعاجم من الفرس والترك والديلم فتبـدـلت روح الدولة وبعد ان كانت عربية خاصة ، اصبحت خليطاً من الاجلاف .

### سوريا في عهد العباسيين

ولقد مضت مئة واثنتان وعشرون سنة على سوريا بعد ان قراظ دولـةـ بـنـيـ اـمـيـةـ وهـيـ لاـتـخـلـوـ مـنـ الفـنـ وـالـخـزـاـزـاتـ ، تـسـمـعـ فـيـهاـ اـسـمـ غـيرـ وـاحـدـ مـنـ الثـاثـرـنـ مـنـ اـرـبـابـ الـعـصـبـيـاتـ الـعـرـبـيـةـ ، فـقـنـ يـشـورـ بـرـ كـانـهـ شـمـ يـهـمـدـ الـىـ حـيـنـ ، وـنـزـاعـ عـلـىـ الـمـلـكـ وـالـسـلـطـانـ ، وـلـمـ تـعـاـمـلـ الـبـلـادـ بـالـحـسـنـ الـاـنـيـ فـقـدـ كـانـاـ يـوـلـيـاـنـ عـلـىـ سـوـرـيـاـ اـقـدـرـ وـجـاهـمـاـ وـالـسـوـرـيـوـنـ يـرـضـيـهـمـ مـنـ الـخـلـفـاءـ حـسـنـ سـيـاسـتـهـمـ وـالـنـظـارـ بـعـطـفـ عـلـىـ مـصـالـحـهـمـ .

بيـدـ انـ هـذـهـ السـيـاسـةـ مـ تـطـلـ زـمـنـ طـوـبـلاـ ، فـقـدـ تـسـلـ الـوـهـنـ وـالـاخـلـالـ الـىـ الدـوـلـةـ العـبـاسـيـةـ وـاـخـذـ عـمـالـهـ فـيـ الـاطـرافـ يـنـقـضـونـ وـيـسـتـقـلـونـ كـلـ فـيـ مـقـاطـعـتـهـ ، وـلـيـسـ تـارـيخـ سـوـرـيـاـ بـعـدـ هـذـاـ الـعـبـدـ الاـ تـارـيخـ دـوـلـ صـغـيـرـ وـمـالـكـ ضـعـيـفـةـ تـنـهـضـ حـيـنـاـ شـمـ يـخـمـدـ نـورـهـ بـعـدـهـ

### انهـيـارـ الدـوـلـةـ العـبـاسـيـةـ وـامـارـةـ بـنـيـ طـوـلـونـ

وـبـيـنـماـ كـانـتـ دـوـلـةـ الـأـمـوـيـيـنـ فـيـ الـإـنـدـلـسـ فـيـ إـبـانـ عـزـهـاـ فـيـ الـقـرـنـ ثـالـثـ للـهـجـرـةـ كـانـتـ دـوـلـةـ العـبـاسـيـيـنـ تـضـطـرـبـ وـتـنـحـلـ ، خـصـوصـاـ فـيـ الصـفـ الثـانـيـ مـنـ الـمـنـهـ الثـالـثـةـ ، وـعـالـ فـارـسـ وـمـصـرـ وـشـامـ وـغـيـرـهـ يـقـطـنـونـ الـخـرـاجـ عـنـ دـارـ الـمـلـكـ ، وـيـسـتـبـدونـ بـالـأـمـرـ ، وـلـيـسـ لـلـخـلـيـفـةـ العـبـاسـيـيـنـ إـلـاـ اـخـلـيـةـ وـالـسـكـةـ ، وـكـانـ أـهـمـ هـوـلـاـ ، التـازـعـيـنـ اـحـمـدـ بـنـ طـوـلـونـ فـيـ مـصـرـ وـشـامـ وـهـوـ اـوـلـ مـتـمـلـكـ ظـفـرـ حـقـيـقـةـ بـلـكـ الشـامـ فـاـ وـسـعـ الـعـبـاسـيـيـنـ إـلـاـ مـصـانـعـتـهـ بـعـدـ اـنـ حـاـوـلـواـ سـجـارـيـتـهـ فـعـيـجزـواـ ، وـكـانـ اـحـمـدـ هـذـاـ يـتـوـلـ مـصـرـ فـيـ اـوـلـ اـمـرـ بـاسـمـ اـحـدـ قـوـادـ الـتـرـكـ (ـسـنـةـ ٢٥٤ـ) وـكـانـ الـخـلـيـفـةـ العـبـاسـيـيـنـ قـدـ اـقـطـعـاـلـهـ ، ثـمـ لـمـ لـاـ استـوـتـقـ مـنـ نـفـسـهـ الـقـوـةـ بـهـيـطـ عـلـىـ سـوـرـيـاـ فـاـسـتـخـلـصـهـاـ لـنـفـسـهـ وـضـمـاـنـاـ الـىـ مـصـرـ ، وـكـانـ اـبـنـ طـوـلـونـ عـادـلـاـ حـسـنـ

السياسة على الهمة بعيد النثر ، يحب العارة كثير الصدقات ، وقد تزوج الخليفة المعتصم ابنته ابنته واسمها قطر الندى وكانت من اجمل نساء عصرها و كان جهازها عظياً جداً يقال ان مقداره ألف هاون ذهباً

و خلف ابن طولون ابنته على ملك الشام ومصر و اسمه خمارويه وكان جيشه يعد ثالثة الفا ، وكان بيته وبين الخليفة حرب انتصر خمارويه في اخرها ، وفي ايامه استقامت شؤون الدولة المصرية و صلحت احوال الناس .

وبعد وفاته قام ابنته بالامر من بعده فلم يحسن السيرة فقتله الجيش ، واغتنم الفرصة الان الخليفة العباسي المكتفي ببعث احد قواه الى دمشق فاستولى عليهما من عمال آل طولون ثم سار الى مصر وذبح من آل طولون عشرين انساناً ، وشخص من بقي الى بغداد وبذلك انقضت الدولة الطولونية في مصر وسوريا وقد دامت من سنة ٢٥٤ - ٢٩٦ .

وفي ايام الخليفة المكتفي ظهر القرامطة وهم من الغواصين قطعوا السبل وسطوا على المسافرين وتمكن الخليفة من القضاء عليهم بعد جهاد عنيف

## الفصل الثامن والعشرون

**الفاطمبوه ، والباھرو فهوه**

**واظروب الصليبيه**

تغلبت على سوريا ثلاثة دول في مدد متقاربة ، وهي الاخشيدية ، والحمدانية والفاتمية ، اشتقت الدولتان الاوليان من الدولة العباسية ، بمعنى ان الاخشيديين والحمدانيين كانوا كالطورانيين من عمال العباسيين قوي امرهم فاستبدوا بسوريا وانشؤوا لهم مملكة قصيراً ، ولكن دوامة الفاطميين على خلاف ذلك فهي دولة علوية شيعية قامت سنة ٢٩٦ بالغرب واول من ولی منهم ابو محمد عبید الله بن محمد بن عبد الله بن

ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم .

دعا الدعاء اولاً بالغرب الى محمد والد المهدى عبيد الله وكان بسلامية من اعمال سوريا ولما توفي اوصى الى ابنته عبید الله المهدى واطلاعه على اسرار الدعوة واسماء الدعوة ، وشاء ذلك ايام المكتفي العباسى فطلبته فتبر عبید الله وابنته ابنة القاسم محمد الذي ولد به المهدى وتلقى بالقائم وتوجه نحو المغرب ، وتزل بلدة تاهرت ، وعظم شأنه بين القبائل واستجابت دعوته ومنذ ذلك وعده معظم شمالي افريقيا وجزائر البحر المتوسط مثل صقلية وسardinie والمطالع وغيرها ، والخاتمة المعز الذى فتح مصر والشام هو رابع خلفائهم ولما هلك كافور اخر الاختشيدين في مصر تولى الفاطميين مصر وكانت متفرقة الاهداء ، افتحها القائد جوهر على رأس مائة الف جندي ، ونادى بالخلافة للمعز الفاطمي ثم ارسل جوهر احد قواده فاستولى على فلسطين وجي اموالها ، ثم افتتح الشام وقام الخطبة للمعز فيها سنة ٥٣٩ هـ ، واصبح الفاطميين خلفاء مصر وسوريا والمغرب

مررت الدولة الفاطمية في ثلاثة ادوار تشبه الادوار التي مررت بها الدولة العباسية فانناطيميون عرب قامت دولتهم بالغرب والبر من سكان افريقيا فسكن انفراد مشتركة بين هذين العنصرين ثم صار الى البر ثم الى الاراك السلاجقين وكانت البلاد في معظم هؤلء الفاطميين كورة تتقاذفها القوتان المختلفة فقد قامت عليها كل هذه القوى تطلب زوالها لانها لم تحسن السياسة ، فالعباسيون ، والحمدانيون ودولة بنى مردان ودولة بنى الجراح ودولة بنى سنان الى غيرها من الدول وكلهم امرا عرب الابدية اخضوا المدن لسلطانهم ، وكان قيامهم بدأ هذه النهاية العربية دليلاً على ضعف الدولة الفاطمية وسوء ادارتها في سوريا

ولقد كانت معظم ايام الفاطميين فتوحاً وفتناً ولم يتحقق علمهم على الساحل الا لينقض الداخل ولا على الداخل الا ليثور الساحل ، واذا اطاع الجنوب اهتز الشمال ، فسكن الشقا ، في ايامهم اكثر من السمادة ، وكانت الاهداء مشتبهه والاراء ممزقة ، ولان كان اول خلفائهم من ملك الشام كالعزيز والعزيز يحيى العدل والانصاف ولهم من الحزم قسط

وافر الا ان الولاية الذين تولوا الشام على عهدهما كانوا في الاكثر ظلاماً يفسكون  
الدماء ويستحلون اموال الرعية ، فخراب القطر في ايامها ، وضعف اهله وغلت الاسعار  
ولا سيما على عهد العزيز ، اما في عهد الحاكم فان البلاد كانت الى الخلل المطلق خلل في  
عقله وخرق في سياساته ، وكانت بعده تختلف باختلاف العامل الذي ترسّله مصر ،  
وبينا القطر متقلّل في ادارته وسياساته اقبلت من الشرق قوة عظيمة لا قبل لها بدفعها  
وهي قوة الترك السلاجوقيين

### السلجوقيين

والسلجوقيون نسبة سلاجوق من امراء الترك في جهة بخارى ، وهم اول الترك الذين  
دانوا بالاسلام ، ولا سار السلطان الـ ارسلان ثالـي ملوك السلاجوقيين بجيشه الى الشام  
كانت مملكته تتدلى الى الصين شرقاً ومن اقصى اليمن غرباً ، افتتح حلب سنة (٤٦٣)  
ثم سار الى فلسطين فافتتحها وفتح بيت المقدس وحصر دمشق حصاراً شديداً ، ولـا  
ملك السلطان ملكشاه ابنته شدد الحصار على دمشق بواسطة قواه حتى انتصروها ،  
وكان السلاجوقيون يخطبون في البلاد باسم العباسيين وكانوا على مذهب السنة وهو  
ما جب السوريين في ملوكهم

بيد ان الفاطميين عادوا فحاصروا دمشق مرة ثانية واستولوا على اعمالها واعمال  
فلسطين ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً فاضطروا الى الاكتفاء ببصر ، ولم تكن سوريا  
الآن بحالة امن وسلم بل بالعكس كانت الثورات والفتنة والاحروب فيها قائمة قاعدة  
وقد اخذ يحكم المدن السورية ماليك من طرف ملكشاه التركي ، وانقسم السلاجوقيون  
فيما بينهم واجتت سوريا ثورة هذا الانقسام

### الحروب الصليبية

ولم يتمتع ملوك الترك كان بافتتاحهم سوريا زماناً طويلاً ، فقد هبط الصليبيون بعدها  
بسنين قليلة ، وكانت البلاد خلال ذلك في هرج ومرج يتظاهر امراوها فيمزق  
بعضهم بعضاً ، والقطار نهب ايدي ملكشاه خليفة الـ ارسلان واخيه تتش ثم اولاده

والسلاجقة، يotropic العباسين ويخطبون باسمهم والفااطميين قد اكتفوا من سوريا بساحلها وربما كان في استيلاء السلاجقة على سوريا بعض الحكمة فاولاهم لكان البلد يرقى الى احزاب الدول الصغيرة، فقيام دولة فتية بجيش جرار لشهير بالشجاعة يقف امام الفرنج كان فوق استطاعة العراق وسوريا والجزيرة تجنيده مثله.

ولقد انحنى بنو سلوجوق في آسيا الصغرى في جيش صاحب القسطنطينية بایعاز السلطان ملكشاه وضائق الامير بر سق الروم حتى قرر على القسطنطينية في كل سنة حمل ثلاثة الف دينار للسلطان وثلاثين الف دينار له، جزية يوديها، وغاف ملك الروم على مملكته من المسلمين فكتب يستهض ماؤك اوروبا لمساعدته، وعرض على البابا خضوعه ان عملت اوروبا على رد الخطير الذي يداهمه. وقد كان التعصب الديني شديداً في الغرب لهذا المهد، فاعز البابا بعض اخصائه ان يبشا فكرة الحرب الصليبية وتخلص القبر المقدس من ايدي المسلمين في نفوس الشعب، وتقبل الشعب هذه الدعوة بشجع وطبع، فكان ذلك بدء القزاع الهائل بين الاسلامية والمسيحية او بين الشرق والغرب

ونزل الآن بنو حدان<sup>(١)</sup> في حلب وهم خلفاء سيف الدولة تحت حكم الدولة الفاطمية لأنها كانت تدين بدينهما، ولكن الفاطميين لم يروا نصراً قوياً في سوريا لأن السواد الاعظم من اهل السنة والشيعة كانوا يخالونهم في مذهبهم، فكثر الخارجين على هذه الدولة وكان العباسيون يحركون اهل البلاد سراً على الثورة وكانت الحروب سجالاً في يوم يضطر الفاطميين للتقهقر وآخر يتقدمون متصرفين فاتحين.

ولقد كان الفاطميين ايام المعز والعزيز على جانب من القوة استكثروا من الجناد فكان عدده يقرب من مائة وخمسين الفاً وغيره كثير من الروم والصقالبة والبربر وكان عندهم مال كثير، فبمثل هذه الجيوش، وهذه الاموال استقام الامر للفاطميين في مصر وسوريا والمغرب وحكموا الى الفرات ومكة والمدينة فلما ضعفوا اصبحت البلاد في فوضى واضطراب واصبح القول للعامة وخصوصاً في سوريا

(١) بنو حدان دولة عربية منبني تغلب استقلت بالموصل وحلب بين سنة ٣٩٦ - ٣١٧

وبعد ان كانت سوريا في القرن الاول ومنتصف القرن الثاني مصدر الحياة العربية ومنبعث القوة الحطبية امست في القرون التالية العربية اهوا الدخلاء وطعنة الطامعين من اهل البوادي ومن جرت عليهم احكام الرقيق من العبيد والبرابرة

### نهضة عربية

بيد انه لا ينكر ان القرن (الثالث بعد الهجرة) كان عصر جدة عربية بعد الفترة السياسية ايام العباسيين و ايام تغلب الفرس ثم الترك على شؤون الدولة ، فقد كان العرب ناقين غاضبين وقد ثارت حفيظتهم لتوسيد المناصب ذات الشأن لنيرهم فهباوا يطلبون حقوقهم ، و تكثت بعض قبائلهم بأسباب مختلفة من انشاء امارات صغيرة في ما بين النهرين والشام تحت رعاية العباسيين ، وقد ساعدتهم على ذلك ما قام من الفتن والاحروب بين الخلفاء العباسيين واجنادهم الترك في القرن الثالث والرابع للهجرة ، فاستقل آل حمدان من بني تغلب بالموصى وحلب ، من سنة ٣١٧ - ٣٩٤ و أشهر امرائهم سيف الدولة وشاعره المشهور ابو الطيب المتنبي ظهر في العراق دولة عربية اخرى اسمها المزيرية ، وخلف بني حمدان في الموصى بني عقيل ، وفي حلب المرادية وهناك دول صغيرة غير هذه ظهرت عربية في حكامها ونظمها ونهضتها ووطنيتها .

### الحضارة العربية<sup>(١)</sup>

اوغل العرب المسلمين في الشام والعراق والفرس ومصر فالغواها بلاداً ذات حضارة كاملة الاداة والمظهر . وجدوا فيها ثارات الاجتماع من فلسفة وعلم وفن . وتلك شئون ليس اشبه الجزيرة بها عهد . ولكنهم الفوا الجاذب المعنوي من هذه الحياة الحضرية ضعيفاً متهدماً تخرب الترف وزعزعت اسمه المظالم . هذا الضعف في ايان النفس هو الذي فتح امام التفوس العربية التي ازدادت باياتها الجديده قوة وحاسة اسور هذه الامم . فبدأ العرب اول فتحهم هذه البلاد ينشرون الدين فيها ويقيمون العدل بين اهلهما ويعفون

(١) من فصل للدكتور هيكيل

عما استقر من الحضارة بين ربواعها . ولكن فترة الفزو الاولى لم تثبت ان قدر ولم يلبث العرب ان اطمأنوا الى معانى النعمة التي افاضتها عليهم خيرات البلاد المفتوحة حتى بدأوا يتترددون في وجوب التعفف عنها . وعلم اول مظاهر هذا التردد صراحة انتقال حكومة الدولة من مكة والمدينة الى دمشق . فليس شك في ان من الاسباب التي ادت الى هذا الانتقال ما رأى العرب من فقر شبه الجزيرة واقفارها . ومن استحالة قيلم الحضارة فيها . وبانتقال الحكومة الى دمشق وانخذ الخليفة من مظاهر الترف بتصييب بدهاولا . الذين قضوا حياتهم الى ذلك الحين في شطوف من العيش يتناولون من آثار النعمة ما يرون عنهم مضض الجهاد وما يزيدهم للفزو حباً وفيه امعاناً

ولقد استطاع العربي ان يتمثل حضارة البلاد التي سر بها . بل استطاع اكثر من ذلك ان يهضم الحضارات المختلفة وان يسيغها وان يجعل منها حضارة واحدة هي

الحضارة الاسلامية

فكانت حضارة بغداد وحضارة قرطبة غاية ما وصل اليه التقدم الازاني في تلك العصور . ولا تذهبورت دولة العرب وقام التراث على حكم المسلمين وقت هذه الحضارة التي ساغها العقل العربي فلم تقدم وظلت واقفة الى زن قريب من عصرنا الحاضر ثم هبت عليها نجمات من الحياة تبعث في النفوس اليوم اكبر الامل ان يعود لهذه الحضارة مجدها وسلطانها

بيروت واخبارها في عهد الامويين والعباسيين

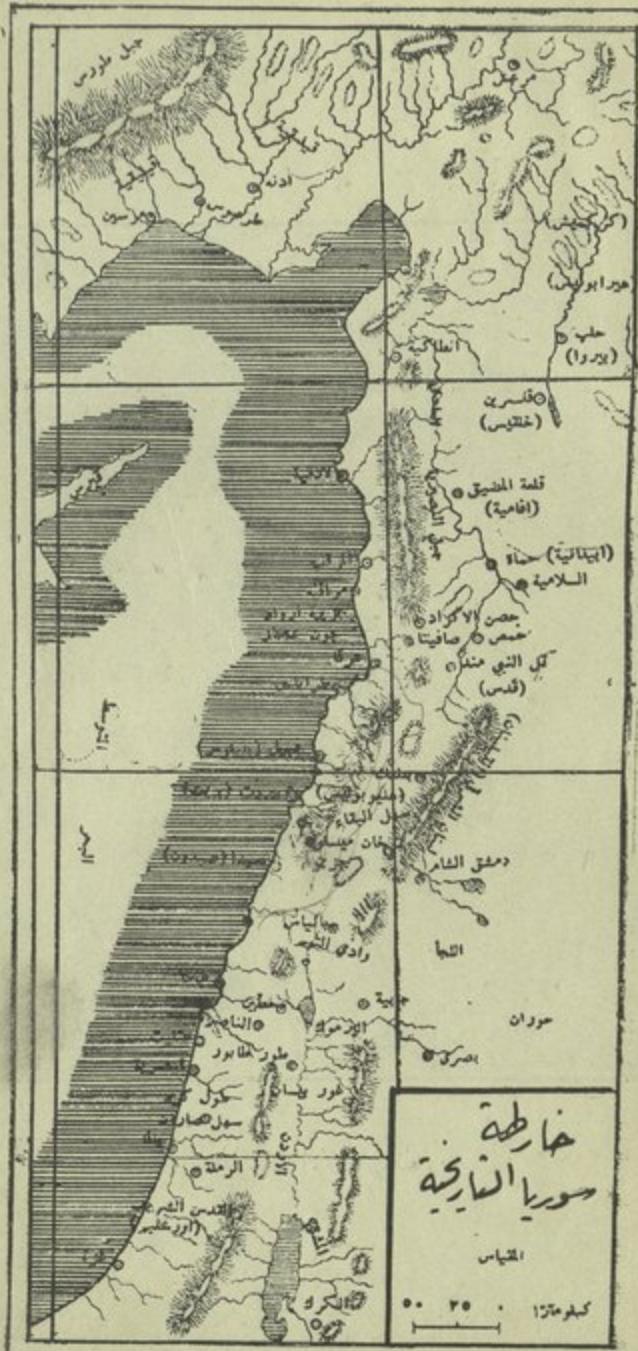
كانت بيروت في عهد الامويين ثانية لدمشق ، وكان اكثرا اهلها من الروم المسيحيين ، ثم صار المسلمون يتکاثرون فيها ، والروم يقللون حتى صار اكثرا اهلها مسلمين .

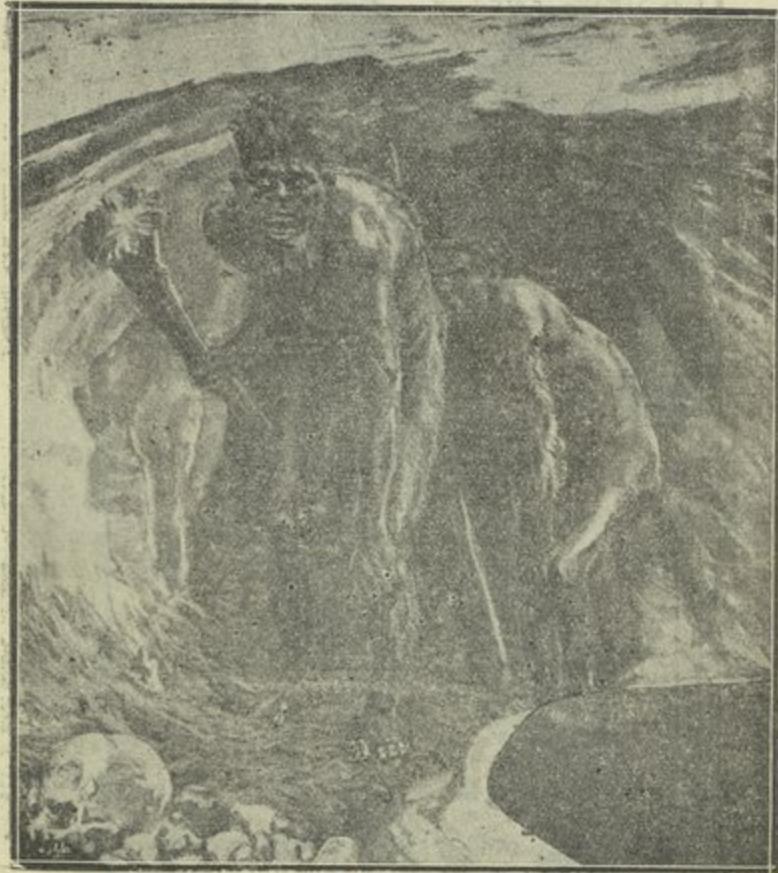
اما في عهد العباسين فاشتهر في بيروت الامام الاوزاعي الذي توفي سنة ١٦٧ هـ .

(٣٧٢٣ م) في آخر خلافة ابي جعفر المنصور وهو ابن سبعين سنة . وهو امام اهل الشام وعالمهم ، قيل انه اجاب في سبعين ألف مسألة وصار يعمل بنذبه ، في سوريا نحو مائة سنة ، وكان عظيم الشأن في سوريا ، وقبده لا يزال خارج بيروت مقصد الالذائرين

---

اشأنا هذه الفصول عن الدولة العربية تكملة لما قدمناه في هذا الكتاب وفن ندرس تاريخ سوريا ولبنان عنها ، زيادة في الفائدة ، وأشباعاً للبحث ، مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي في الكتب الكبيرة





الإنسان الأول في المقاور

## الانسان الاول

كان الانسان الاول عارياً لا يستر جسمه الا شعره الكثيف ، وقد لا يبعد ان يكون تعلم لبس الجاود منذ زمن بعيد ، بيد انه في اول الامر رمي بها قريباً من المكان الذي يعيش فيه وذلک بعد ان سلخ الجلد عن الحيوان وازدرد لحمه ، فلما قرصه القر وضعاها عليه واستعملها كقطن لاطفاله وصغاره

وكان الانسان الاول اكثر ما يعيش في المقاور وعلى ضفاف الانهار وفي الاشجار مخافة ان يفترسه الحيوان الكاسر على غرة ، وكان يوقد النار ليلاً ارهاماً للحيوانات ورغبة منه في الاستئناس مع اولاده وعائلته

وأقد كان الانسان الاول يصطاد الحيوانات التي تربى ويراهما في طريقه ويقتلها بقوس في يده ، ولم يكن يعرف كيف يطبقها فكان يأكل الاحم نيناً طرياً ولم يكن هذا الانسان صياداً بالمعنى الصحيح وخصوصاً قبل ان عرف القوس ، فقد كان يهاب الوحش الكاسر فلا يتعرض له بغير ولا بشر ، وكان يعيش اكثر الاحيان على اثار الاشجار وكان يأكل الحيوانات الميتة ، بل ويأكل بعضه بعضاً اذا اuzeه الغذا وعضه الجوع . وذلك منذآلاف كثيرة من السنين .

وهذه الصورة تمثل الانسان الاول خارجاً من احد المقاور التي يسكنها وهو يحمل هراوة في يده يهد بها عادية اعدائه عنه

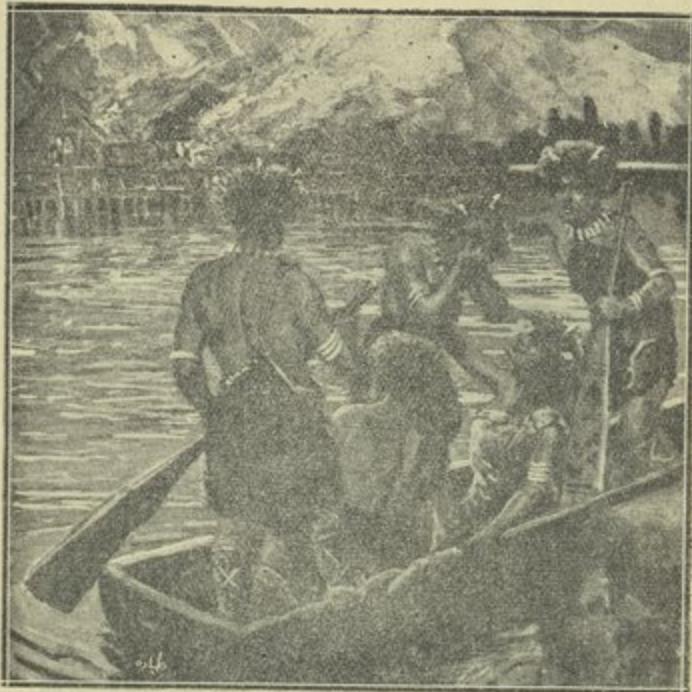
## المحكمة الاولى

تصور الانسان الاول منذ ثلاثة الف سنة تقريباً ، تراه ابكم لا يستطيع كلاماً ولا يفكر الا في اقرب الاشياء اليه ، ولا يفرق بين الجد والخي ولتكنه كان يعتقد بالحياة بعد الموت فيدفن امواته ومعهم الكثير من الانانية والطعام : وكان هذا الانسان يخشى زعيم القبيلة وكبارها ، ويربي اولاده وهم صغار على هذا الخوف ، فكان من المحظوظ عليهم ان يلمسوا الزعيم الكبير او ان يجلسوا مكافئاً له ، كما هو الحال مع اطفالنا اليوم حين نخظر عليهم اللعب بغلبون والدهم والجلوس على كرسيه .

وكان الرجل الكبير حتى بعد وفاته محترماً ، وكلوا يعتقدون انه وقد حارب في سبيل قبيلته ایام حياته لا يبعد ان يحارب في سبيلها بعد مماته ، ومن هنا نشأت فكرة تحويل القبائل الاصغرى ب الكبير قبيلة ثانية ، وكلما كان الرجل الكبير في حياته قوياً شديداً وبطاشاً كلما كان صدى قوته بعد موته عظيماً وكان الرجل الكبير في حياته زعيم القبيلة ومدير امورها والحاكم في مخاذهاتها ، وصورتنا هذه تمثل احد هؤلاء الزعماء يحكم بين افراد قبيلته في ما يعرضون عليه من مشكل ونزاع .



زعيم القبيلة يقضى في قبيلته



رغبت جماعات من بني الانهر وبنا، مساكن خشبية لها في وسطها وذلك خوفاً من الحيوانات الكاسرة ومن بعضها بعضاً، وكان يحدث كثيراً ان تلub النار في بعض هذه (المستعمرات الخشبية) فتلتهمها وتذرها رماداً، وتحمل اهلها على مغادرتها نافرين باكين .

وهذه الصورة تثلل فريقاً من سكان هذه (القرى النهرية) في سويسرا وقد لعبت النار في مساكنهم وهم يتبعدون عنها في زورق صغير وقد تلتهم الجزء والخروف . وتاريخ هذا الحادث منذ عشرةآلاف سنة



البرنس نفرت المصرية

## المرأة المصرية في العصور القديمة

لا تزال آثار مصرية موضع اعجاب الشعوب في كل زمان ومكان ، ولا يزال علماء الارض يقصدون وادي النيل للحفر عن اثر قديم ، ودرس ما في مصر من نصب قائم ، ومباني عظيمة . ولم تكن مصر امة حربية كاشرور مثلاً بل امة عمل وصناعة وفن ، ولا تزال آثارها الخالدة على الاجيال قبلة العالم الحديث ، وما هذه الآثار الباقية الا بقية يسيرة من رأس المال .

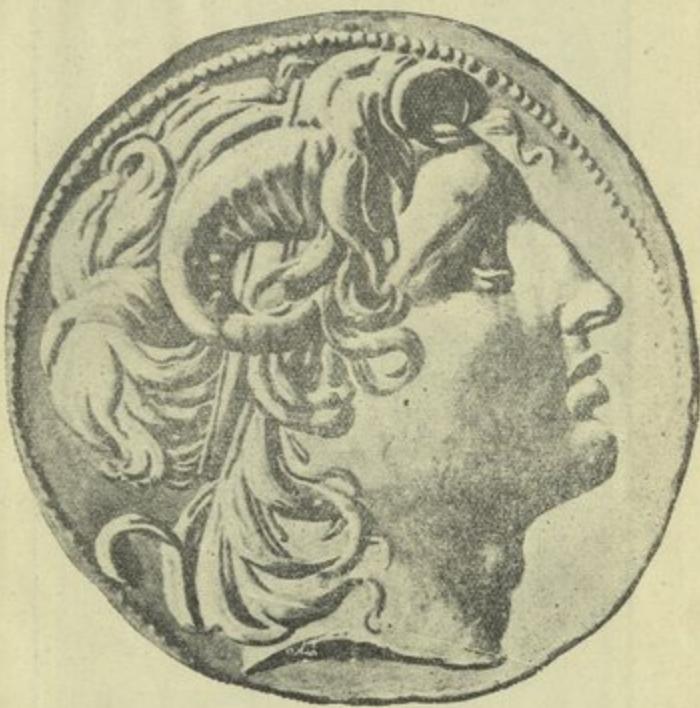
وان من اغرب مظاهر الحياة في مصر ان تتمتع المرأة المصرية بجميع حقوقها المادية والادبية حتى في التربع على دست الملك خلافاً لما كانت عليه المرأة الشرقية او اليونانية في العصور القديمة ، ولعل ذلك راجع لدماثة اخلاق المصريين ورقيمهم على عمداً .

ولقد ضاع الكثير من آثار مصر ، واندثرت بذلك جميع العلوم والفنون المصرية القديمة وقاد يقضي علىباقي جبل العالم لغة مصر الهieroغليفية لو لا ان قام في القرن الخامس من عمل على حل رموزها وهو شاميلاون الافرنسي ، فتيسر لنا بذلك قراءة المنقوش على جدران الاهرام والمقابر وما هو مكتوب على الاوراق البردية المحفوظة في المتاحف العالمية . وهذه الصورة تمثل البرنس نفترت المصرية التي عاشت في مصر منذ ستة الاف سنة



### الفينيقيون التجار

اعظم اعمال الفينيقيين ما صرفا اليه عنائهم من التجارة وحمل عادات الامم الشرقية الى الغربية وعادات هؤلاء الى الشرق ، ورسمنا الحاضر يمثلهم على شواطئ انكلترا يساومون اهلها ويعرضون عليهم ما حملوه من الشرق من بديم الصناعة ولطيف الحياة وجميل المنسوجات



الاسکندر المقدوني

## الاسكندر المقدوني

في اليوم الثاني عشر من شهر يونيو سنة ٣٢٣ قبل الميلاد اشتدت وطأة المرض على الاسكندر المقدوني في قصره في بابل وشاع الخبر في المدينة والجليس ، وما كاد يبلغ مسامع المقدونيين وهم رجاله وجندته حتى ساورهم التلق وتلقيهم الجزع فازدواحوا حول القصر طالبين بالراح رؤية الملك ظناً منهم انه قضى نحبه ، واحتفت حاشيته الخبر عنهم ، ولما رأت الحاشية شدة توسلهم واللحاجهم فتحت لهم ابواب القصر فوجوه الواحد تلو الآخر ، وأخذوا يبرون امام الاسكندر الذي كان يرفرف رأسه بهناء شديد ويشير بيده اليهم اشارة الوداع ، وفي مساء اليوم التالي ١٣ يونيو مات هذا الملك العظيم ولم يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين سنة تماماً ، بعد ان ملك العالم النجاشي عشرة سنة وثمانية أشهر .

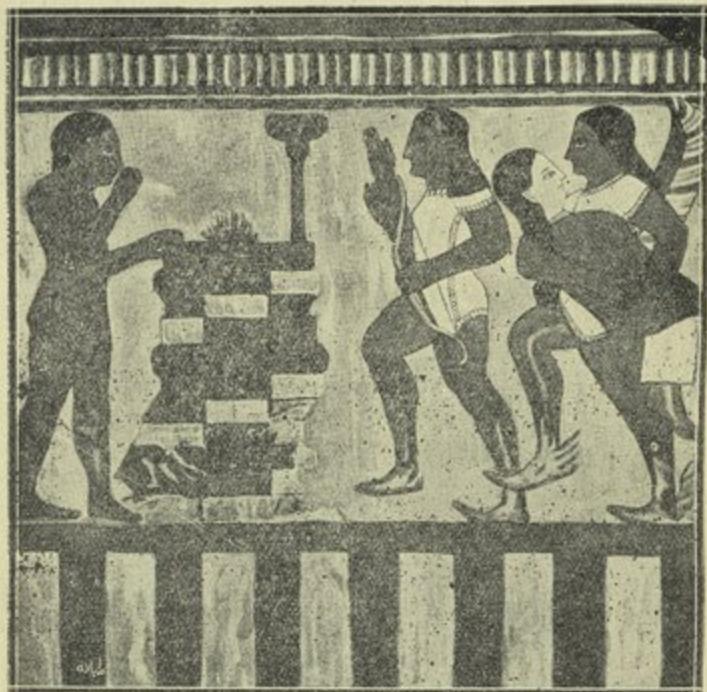
التواد الانذاذ قلائل في العالم والاسكندر كان فرداً فذاً في التاريخ ، ففتح العالم القديم بالقليل من السنين وقضى على دولة الفرس في ثلاث معارك ، ودان له العالم القديم المعروف في اقل من سنتين فامتدت مملكته من بلاد اليونان الى اقصى الحدود الروسية اليوم ومن اقصى الفرات حتى السند والهند

فاعجب لهذه المملكة العظيمة يفتحها فتن يافع في الثلاثين من العمر و كان الاسكندر طاماً طاماً ، فكر في توحيد العالم بنقل عادات الغرب الى الشرق ، والشرق الى الغرب ، ورأى تنفيذاً لفكرة هذه ان ينقل جماعات من بني الشرق الى الغرب ومثلهم من الغرب الى الشرق ولو تم له ما اراده لكان للتاريخ القديم والمتوسط والحديث غير طوره الحاضر ، وحديثه المعروف



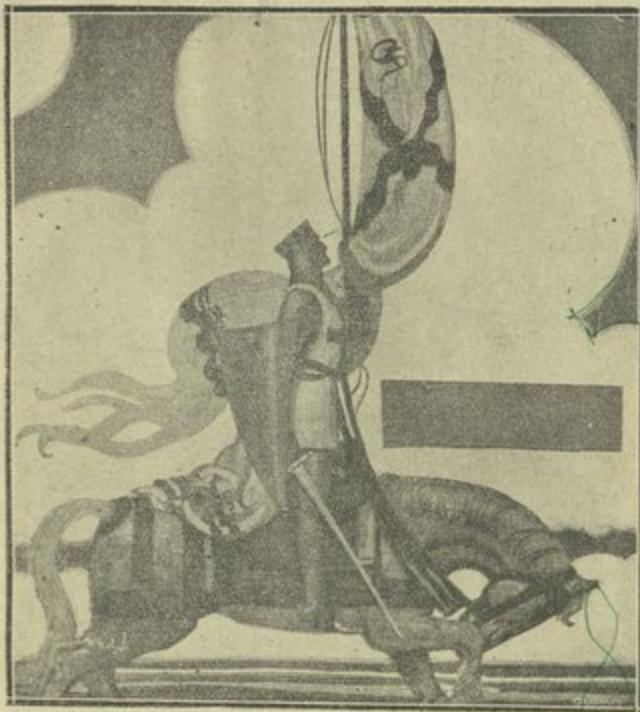
### الجنود الفارسية منذ ثلاثة آلاف سنة

اشور اكبر دولة عسكرية ظهرت في الشرق القديم وسارت فارس على آثارها  
فكانت جنودها تسير من اقصى الفرات الى اقصى النيل من فتح الى فتح ونصر الى  
نصر ، حتى حاولت استعباد اليونان فردوها خاسرة وهذا الرسم يمثل بعضاً من جنود  
فارس وهو انوذج للباس العسكري في ذلك العهد



### ضحايا الآلهة في فينيقيا

ليس للمساحة شأن عظيم في التاريخ فقد يحدث كثيرا ان يقوم شعب صغير في ارض ضيقه فيلعب دورا عظيما في تاريخ العالم ، كذلك كان شأن الفينيقيين والقرطاجيين وسكان اثينا وسبارطا في القرون الاولى وكذلك كان شأن جنوبي فلورنسا وفيتنس وبيزا في القرون الوسطى ولقد اتينا في الفصول التالية على شيء من تاريخ الفينيقيين فليس لنا ما نزيد الا ان انه كان يغلب عليهم في مناسك دينهم الفسق والفحوج والشراسة ، وهذه الصورة تتلهم وهم يقدمون اطعامهم ضحايا لالهتهم ، وذلك رغبة منهم في اجتناب غضبها واكتساباً لرضاها



### الفارس الصليبي

ليس اكبر من سلطان الدين في العصور المتوسطة ، فقد كانت كلمة الكنيسة لا ترد ، وحكم البابا امراً مبرماً ، غضب احد الباباوات على امبراطور الالمان في العصور المتوسطة لامر انكرها عليه خرمد ، فاضطر الامبراطور ان يأتي رومية حافياً عاري الرأس وان يقف على باب البابا ثلاثة ايام بلياليهن طالباً الصفح والمغفرة . فلاتعجب بعد ذلك ان ترى الناس يتغرون خفافاً وثقالاً للشرق يبغون استخلاص قبر السيد المسيح من ايدي المسلمين لكلمة قاء بها رجل الكنيسة الاكبر ، ودعوة قام بها في عرض اوروبا احمد الكلمة . وهذه صورة احد الفرسان الصليبيين في لباسه الحربي وعلمه الصليبي

## فهرس الكتاب

الصفحة

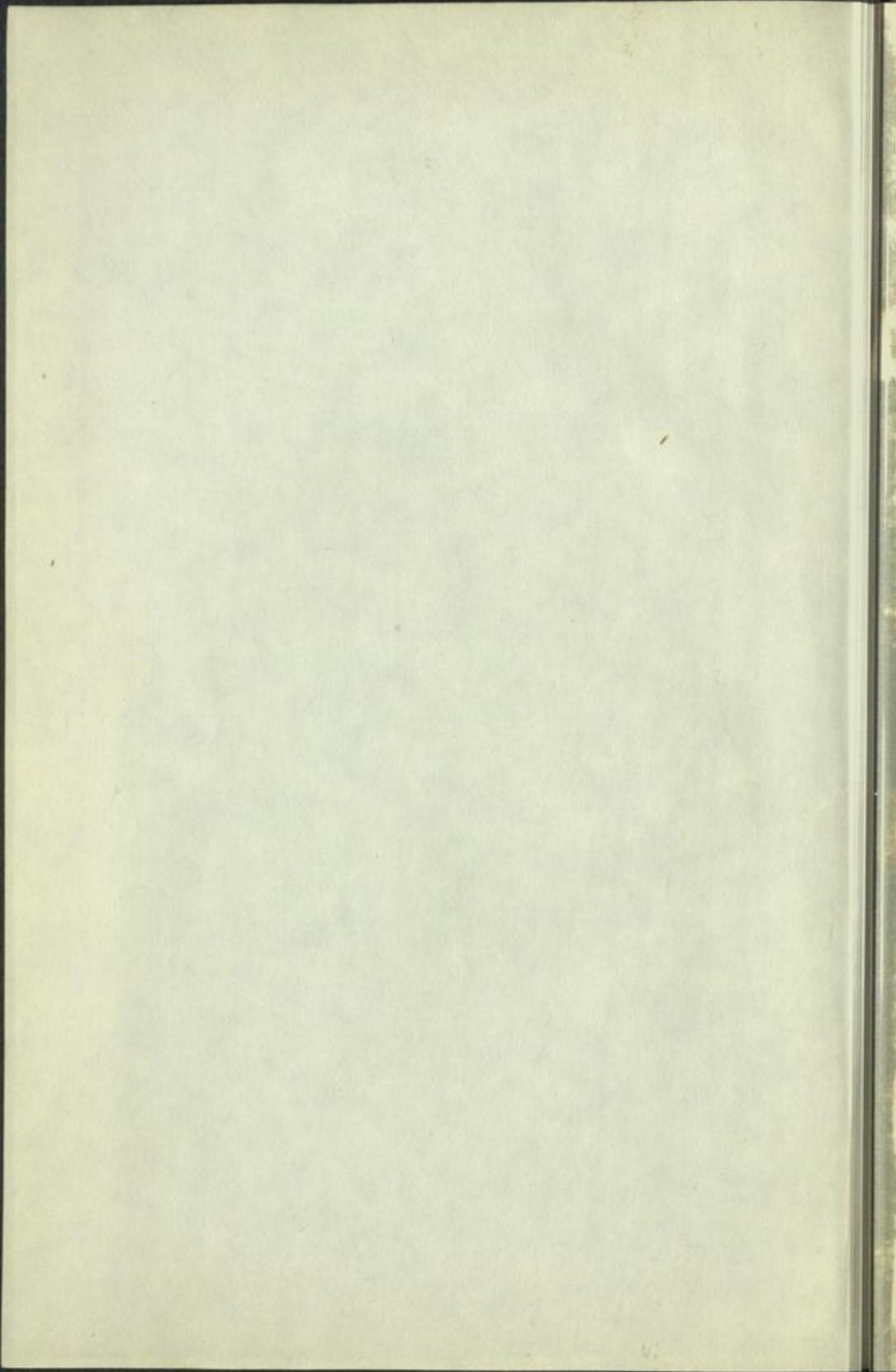
٢	الاهماء
٣	مقدمة الكتاب
٥	الضجة حول كتاب سوريا ولبنان
٩	الفصل ١ - سوريا ولبنان في جغرافية التاريخ
١٢	الفصل ٢ - القطر السوري ، بحث جغرافي زراعي سياسي
١٧	الفصل ٣ - الفينيقيون في لبنان والسوائل
٢٠	الفصل ٤ - فينيقيا ، تجاراتها ، اقتصادها
٢٣	الفصل ٥ - سوريا في عهد اليهود وآشور وفارس
٢٧	الفصل ٦ - سوريا في عهد اليونان ٣٣٣ ق م -- ٦٤ م
٣٠	الفصل ٧ - سوريا في عهد الرومان ٦٤ ق م -- ٨٥ م
٣٣	الفصل ٨ - سوريا في عهد الدولة البيزنطية ٣٩٥ ق م - ٦٣٤ م
٣٩	الفصل ٩ - الفتح العربي ٦٣٤ م
٤٤	الفصل ١٠ - سوريا في عهد الخلفاء الراشدين ٦٣٤ - ٧٥٠
٤٩	الفصل ١١ - سوريا في عهد الامويين (١) ٦٦٠ - ٧٥٠
٥٢	الفصل ١٢ - سوريا في عهد الامويين (٢) ٦٦٠ - ٧٥٠
٥٦	الفصل ١٣ - سوريا في عهد العباسيين ٧٥٠ - ٤٢٢
٥٩	الفصل ١٤ - تداول الدول والملالك ٩٧٧ - ١٠٩٨
٦٣	الفصل ١٥ - سوريا الافرنجية ١٠٩٨ - ١١٤٤
٦٦	الفصل ١٦ - انحطاط المملكة الافرنجية في سوريا ١١٤٤ - ١٢٩١

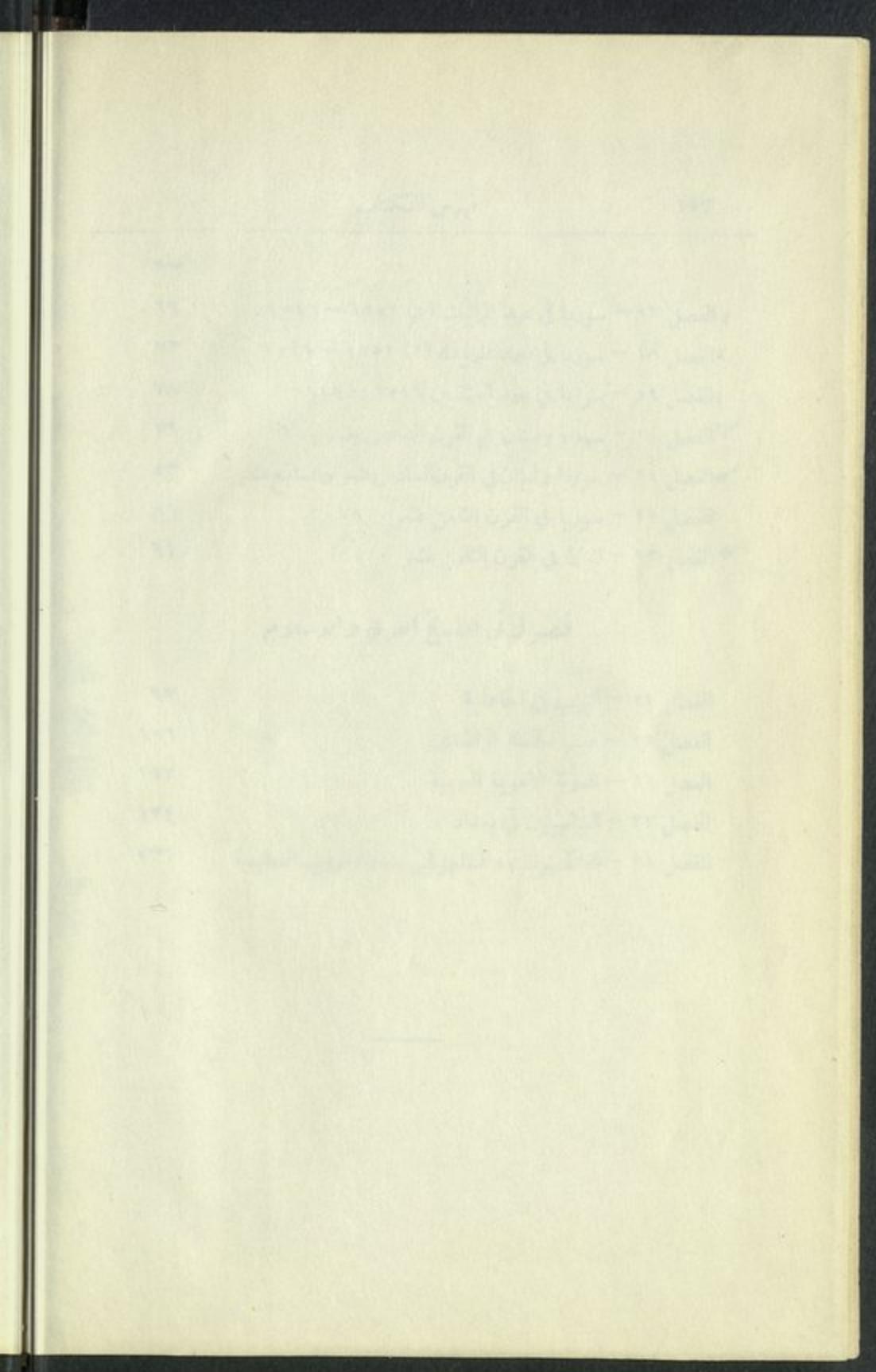
## الصفحة

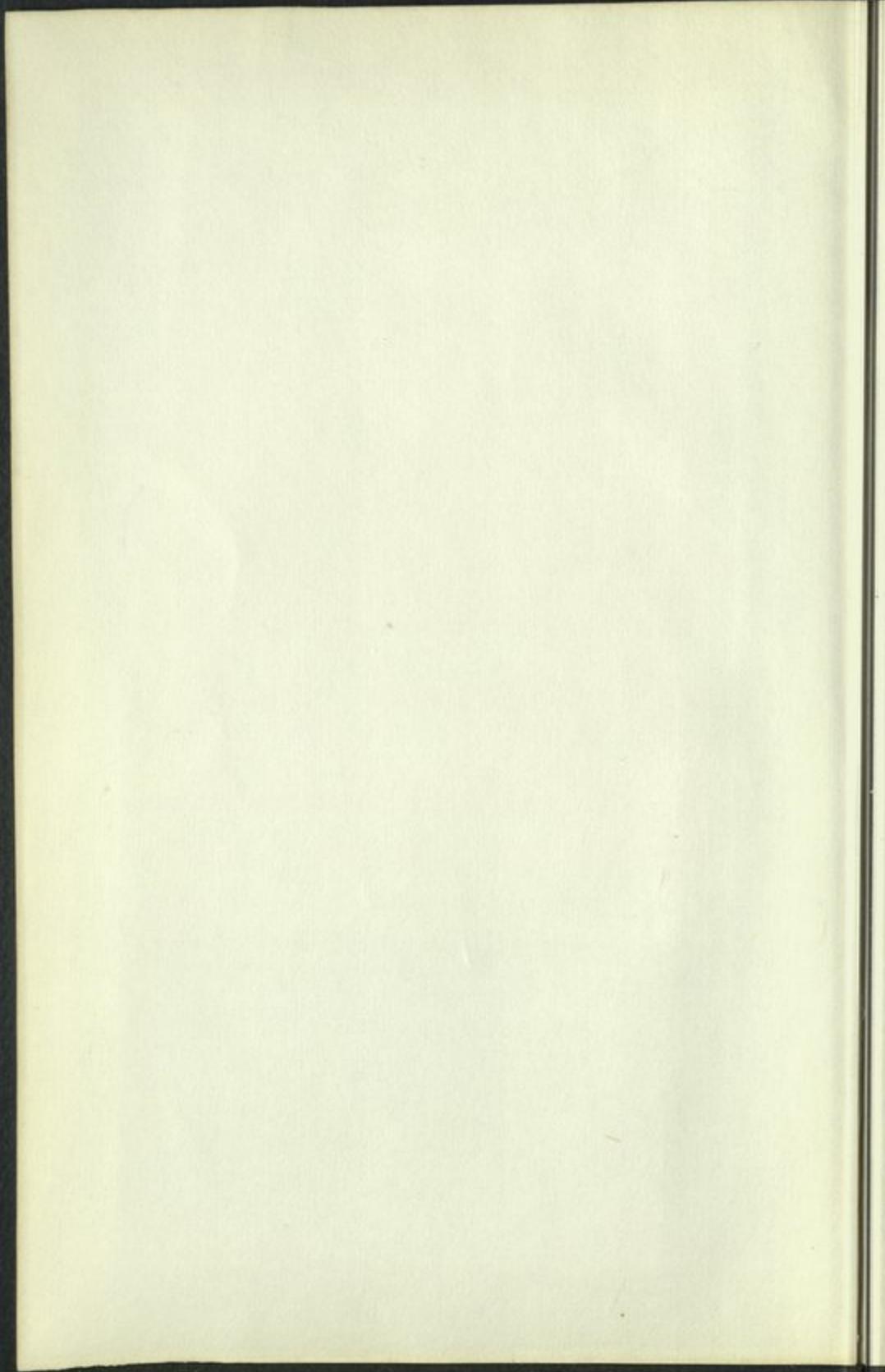
- |    |   |
|----|---|
| ٦٩ | الفصل ١٢ - سوريا في عهد المماليك (١) ١٤٥٢ - ١٥١٦        |
| ٧٣ | الفصل ١٨ - سوريا في عهد المماليك (٢) ١٤٥٢ - ١٥١٦        |
| ٧٨ | الفصل ١٩ - سوريا في عهد العثمانيين ١٥١٦ - ١٩١٨          |
| ٧٩ | الفصل ٢٠ - سوريا ولبنان في القرن السادس عشر ١٦٠٠        |
| ٨٣ | الفصل ٢١ - سوريا ولبنان في القرن السادس عشر والسابع عشر |
| ٨٦ | الفصل ٢٢ - سوريا في القرن الثامن عشر ١٨٠٠               |
| ٩١ | الفصل ٢٣ - لبنان في القرن الثامن عشر                    |

## فصل في تاريخ العربي والاسلام

- |     |  |
|-----|--|
| ٩٧  | الفصل ٢٤ - العرب في الجاهلية                           |
| ١٠٦ | الفصل ٢٥ - عصر الخلفاء الراشدين                        |
| ١١٢ | الفصل ٢٦ - الدولة الاموية العربية                      |
| ١٢٤ | الفصل ٢٧ - العباسيون في بغداد                          |
| ١٣١ | الفصل ٢٨ - الفاطميون ، والسلجوقيون ، والخربوب الصليبية |







DATE DUE



956.9:A162sA:c.1

أبو النصر، عمر

سورية ولبنان حتى أول القرن التاسع

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01056056

A.U.B. LIBRARY

956.9  
A162sA

